

خولة عبد اللطيف العتيقي

وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الناشـــر :

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

16 مكرر ، شارع عمر بن الخطاب ، أكدال ، الرباط ، المغرب

ص ب . 755 ، تليفون : 772433 ، تلكس : 32645 / 31844 M ، فاكس : 777459 / 772058

16 bis, Charia Omar Ben Khattqb, Agdal, Rabqt, Maroc

B.p. 655, Tel : 772433, Tlx : 32645 / 31844 M, 777459 / 772058


المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة
إيسيسكو ISESCO
خولة عبد اللطيف العتيقي
وظيفة
المرأة المسلمة
في عالم اليوم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أهدي بحثي هذا إلى أبنائي الذين أخذت من وقتهم الكثير في سبيل إنجازه .

إلى المهند والهنوف والفهد بكل ما في الأمومة من حب ، أدعو الله أن يسدد خطاهم ويثبتهم على دينه ويجعلهم من عباده الصالحين يحملون لواء دعوته ويناضلون في سبيل نشر كلمة الإسلام .

وهذا ليس على الله ببعيد .

خولة العتيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

تشمل رؤية المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إلى طبيعة المهام الحضارية المنوطة بها ، مختلف الجوانب التي تشكل الإطار العام للمجتمعات الإسلامية وهي تترسم طريقها إلى نهضة إسلامية جديدة تقوم على أساس من العلم والتخطيط واستيعاب مقتضيات تطور العصر في دائرة القيم الأساسية للإسلام في تفتحه وانفتاحه ، وفي مرونته ومسايرته للفطرة الإنسانية السوية .

ولقد أولت المنظمة الإسلامية الجانب الاجتماعي من عملية التنمية المتكاملة في البلدان الإسلامية بالغ عنايتها ، سواء في خطط العمل الثلاثية السابقة ، أو في خطة العمل الحالية التي يدخل ضمنها البرنامج الثقافي رقم XV / 3 الذي يعنى بـ (وضعية المرأة المسلمة في العالم الإسلامي) ، وذلك من منطلق الوعي بالأهمية القصوى التي تكتسبها الموضوعات ذات الصلة بالمجتمع الذي هو محضن كل الأنشطة التي تقوم بها الإيسيسكو على المستويات الثلاثة : التربوية والعلمية والثقافية من أجل إعادة صياغة الفكر والوجدان والسلوك على مقتضى المفاهيم الإسلامية الصحيحة ، وطبقا للاختيارات الرئيسة التي وضعت أسسها الدول الأعضاء والمتمثلة في ميثاق المنظمة أولا ، ثم في البرامج التي تعتمدها وتنفذها في إطار خطط عمل يراعى فيها تعميم الاستفادة في جميع أنحاء العالم الإسلامي من الخبرات والإمكانات التي تساهم في النهوض بمستويات التقدم .

وتوازي العناية الفائقة التي توليها المنظمة الإسلامية للمرأة المسلمة سواء من حيث تعليمها وتربيتها وتحديثها على هدي مبادىء الإسلام السمحة ، أو من حيث الرفع من مستواها العلمي والثقافي ، ما تقوم به الإيسيسكو من إنجازات وما تعيره من اهتمامات لحقول النشاط متعدد الأوجه ومتنوع النواحي الذي يغطي جميع جوانب العمل الإسلامي الدولي المشترك في ميادين التربية والعلوم والثقافة .

وتصدر المنظمة الإسلامية في عملها هذا – القائم على أساس تخطيط علمي مدروس – عن اقتناع عميق بما للتربية في مفهومها العام وللوعي العلمي في مدلوله الشامل وللنشاط الثقافي بالمعنى الواسع ، من بالغ الأثر على مجهود التنمية العام الذي يهدف إلى تطور العالم الإسلامي وتقدمه .

ويدخل في هذا الإطار الهدف الذي خططت له المنظمة الإسلامية من تنظيم المسابقة الدولية حول التأليف في موضوع نعتبره جميعا ذا أهمية بالغة هو : (وضعية المرأة المسلمة في العالم الإسلامي) ، باعتبار أن معالجة وضعية من هذا القبيل من شأنها أن تساهم في تمهيد السبل الكفيلة بتيسير عملية البحث عن الحلول العلمية لمشكلات النمو المتوازن في العالم الإسلامي . وهو المطمح الذي تتضافر الجهود لبلوغه في إطار من العمل المشترك القائم على المبادىء الإسلامية التي تجعل من التعاون فيما بين المسلمين وسيلة لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان المسلم من عز وسؤدد ، ومن رخاء وازدهار ، ومن رفعة مقام ، وعلو شأن بين الأمم والشعوب .

ولقد أسفرت المسابقة الخاصة حول التأليف في هذا الموضوع الحيوي عن فوز ثلاثة أسماء بالجوائز المخصصة لهذا الغرض ، هي

حسب ترتيب قيمة الجوائز :

أولا : د . مروان إبراهيم القيسي من المملكة الأردنية الهاشمية ، الذي استحق الجائزة الأولى عن كتابه : (المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين) .

ثانيا : أ . مصطفى إسماعيل بغدادي من جمهورية مصر العربية ، الذي استحق الجائزة الثانية عن كتابه (حقوق المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي) .

ثالثا : أ . خولة عبد اللطيف العتيقي من دولة الكويت ، التي استحقت الجائزة الثالثة عن كتابها (وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم) .

وإذا كانت هذه الكتب الثلاثة تعالج (وضعية المرأة المسلمة في العالم) من الجوانب كافة ، فإنها تضع بذلك الإطار الفكري الواسع للنهضة النسوية في دول العالم الإسلامي التي نعمل جميعًا بعون من الله لتكون الأساس الذي تقوم عليه النهضة الإسلامية الحضارية الشاملة وهي تنقل المجتمعات الإسلامية من طورها الحالي إلى طور أكثر ازدهارا وتقدما .

ويسعد المنظمة الإسلامية أن تقدم هذه الكتب الفائزة إلى جمهور القراء في العالم الإسلامي لتكون لهم زادا فكريا يغني ويفيد وينير السبيل أمام أمتنا الإسلامية نحو مستقبل مشرق تسوده قيم الإسلام الهادية إلى الحق والعدل والقوة والمناعة والتفوق .

الأستاذ عبد الهادي بو طالب

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

مقدمة :

المرأة والرجل هذان الكائنان المتكاملان المخلوقان من نفس واحدة خلقهما العزيز الحكيم لخلافته في الأرض ولقد عمرا الأرض عندما كانا يؤمنان بأن لكل منهما دورًا في هذه الحياة لا يجب أن يتعداه ، وعندما التزم كل منهما بحدوده وتقيد بالقيود التي حددها لهما الشرع .

أما وقد أصبح الحال غير الحال وانقلبت الموازين وتبودلت الأدوار بين الرجال والنساء ولبس الرجال لباس النساء ولبست النساء لباس الرجال ، وأحكمت المؤامرات قبضتها على المجتمعات الإسلامية ونسجت العنكبوت خيوطها حول بلاد المسلمين وخرجت المرأة كما يقولون من قمقمها وأصبحت صنوا للرجل تعمل ما يعمل وتتعلم ما يتعلم وبعد أن هدم بناء المجتمع المسلم بيد أبنائه مستخدمين في ذلك النساء وجهلهن بالحال أو بمباركتهن ، كان لابد من وقفة ونصيحة ننصح بها النساء في عصرنا هذا وننبههن فيها للأخطار المحيطة بهن .

ولم نكن أول من تحدث في هذه القضية ولن نكون آخرهم ولكنها كلمة لابد أن تقال ، لقد ألف المفكرون المسلمون الكتب الكثيرة في قضية المرأة وتعليمها وعالجوها من جميع جوانبها ، الشرعية والاجتماعية والاقتصادية .

وعندما أردت الكتابة في هذا الموضوع حسبت أنني لن أجد ما أقوله أكثر مما قاله من هم أعلم مني في هذا الموضوع ولم أحصل إلا على ستة من المراجع ، ولما بدأت الكتابة وجدتني أستغرق في البحث حتى حصلت على ستة وثلاثين مرجعًا كلها تتحدث في نفس المجال وتبحث في نفس الموضوع ، لقد استعنت بمعظمها وقلت في نفسي ماذا سأكتب أكثر مما كتب علماء المسلمين ، ولكن وبجهدي المتواضع البسيط حاولت البحث في القضية لعل الله أن ينفعني وعسى أن تنفع غيري ، وأن

تجد القبول عند الله وعندهم .

لقد أصبحت المرأة المسلمة في مجتمعنا المسلم والشبيه بغير المسلم وبما حولها من إغراءات ومشاكل الحضارة الحديثة بين شقي الرحى ، بين أن تتقدم وتقوم بدورها كما تطلبه منها متطلبات المجتمع ووسائل الإعلام والتربية في المجتمع وبين أن تلتزم بتعاليم الإسلام وتتخذ موقفًا محددًا من قضايا عصرها ، ولقد بدأت بعض الأخوات المسلمات هذه الخطوة وهن معدودات ، ولكن التبعة ثقيلة والأعباء كثيرة التي تقع على عاتق المرأة المسلمة الداعية إلى الله ، والتيار قوي وجارف ، فما دام الناس يتبعون شهواتهم ، وما دام هناك من يبرر لهم ويفلسف كل شيء فلن نعدم من يؤيد الفساد في المجتمع ويبرره على أنه ضريبة من ضرائب التقدم والحضارة ، حتى الفساد يجد له من يبرره والحق أصبح ضعيفا مهزومًا لفترة طويلة ، والحمد لله فقد منَّ الله علينا بالإيمان وفتح بصائر كثير من المسلمين على واقع الإسلام وما آل إليه أمره وعمت الصحوة الدينية جميع أقطار العالم الإسلامي بعد أن غاب الوعي سنوات طوالا هي سنوات عجاف في مجال الدعوة ، ولكن وبما أن الله منَّ علينا بما نرغب ونريد ، وبما أن الله أصدقنا وعده وحفظ دينه وقيض له من يحييه ويدافع عنه فكلنا أمل بأن تعرف المرأة المسلمة دورها في هذه الحياة ومجالها الذي تتحرك فيه وتلتزم بما نطلب منها في بحثنا هذا المتواضع ، نحن لم نطلب منها ألا تتعلم لأننا نعرف أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ونحن لم نطلب منها ألا تعمل عند الحاجة لأنها تكفي نفسها ذل السؤال والاحتياج للغير الذي يعرضها لما لا تحب وترضى ، ولكننا بيّنا لها السبل ﴿ **قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة** ﴾ [1] وأردنا لها أن تعرف المساوئ والحسنات وأن تختار بين الصالح والطالح ، فالمؤمن كيس فطن كما قال الرسول ﷺ فهي ستعرف بفطنتها التي فطرها الله عليها ، فطرتها الصافية المسلمة ، ما ينفعها وما يضرها فتتجه إلى سبيل الرشاد وتترك سبيل الغي والضلال .

نحن حاولنا في بحثنا هذا المتواضع أن نبين لها أن سبيل الله واضحة مستقيمة لا عوج فيها وأن سبيل غيره من العصاة والمغرضين ملتوية وطويلة ، وأمامها الطريقان ولها أن تختار إما إلى جنة عرضها السموات والأرض وإما إلى نارٍ وبئس القرار وندعو الله أن يحفظها ويحفظ المسلمين . فبمحافظتها على نفسها تحفظ أبناءها وزوجها وجيلها كله فهي الأصل وهي السبب في دخولهم معها إلى الجنة أو إلى النار . وبعد ما بيّنا لها السبيل قلنا لها هذا هو الطريق اختاري ما ترينه مناسبا لك ولكن عسى أن يكون الطريق المستقيم طريق الحق وليس طريق الضلال والغواية .

قد تعملين وقد تكسبين ولكن قد تخسرين زوجا أو تخسرين ابنا فما فائدة المادة عندما نخسر الإنسان وهل تعيد لنا الماده إنسانية أبنائنا أو أزواجنا إن فقدوها وتركونا للحسرة والألم ؟

نقول في بحثنا هذا لأختنا وابنتنا المسلمة إن الله وضع لك طريقًا فيه من الأسس ما يكفيك ويغنيك عن البحث عن حل عند غيره ؟ فلِمَ تدّعين أننا رجعيون عندما نطلب منك البقاء في البيت للقيام بالعمل فيه بدلا من الخروج خارجه .

نحن لانريد إلا إصلاح المجتمع وصلاح الإنسان فيه وأنت جزء من المجتمع وجزء من الناس فيه فإذا صلح الجزء صلح الكل وإلا فهي النهاية .

قد يقول قارئ البحث إنه لم يأت بجديد وأقول إن أمر الله قديم قدم القرآن وأنه متجدد أو جديد جدة الحياة فعندما قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ [1] كان يعني أنها الصيغة المثلى والنهائية للأديان على وجه البسيطة وأنها ستكون دائمة ومستمرة بالصيغة نفسها لن يجدد الله فيها ولن يزيد ، ليس لأنه ليس بقادر تنزه عن ذلك ولكن لأنه ختم الدين بهذه الآية وفيها الصيغة النهائية للإسلام كما يريده هو

---

(1) سورة المائدة الآية 3

ولذلك ليس لأحد أن يجدد فيها أو يحيد عنها ، وإذًا هو أمر الله سبحانه وتعالى نأخذ به أو نتركه .

وخاطبنا في بحثنا حس المرأة المسلمة وعاطفتها الفطرية التي فطرها الله عليها حتى تعرف طريقها في هذه الحياة ، و لم يخل كلامنا من نصيحة هنا ونصيحة هناك ومثل من هنا ومثل من هناك لعل الذكرى تنفع المؤمنين .

ولقد حاولنا وضع بعض الحلول لمشاكلها في العلم والعمل وأردنا بذلك أن نشعل شمعة ولوضئيلة في طريق حياتها لعل بصيصا من نور يزيد عليه غيرنا بصيصًا آخر إلى أن تصبح الشمعة الصغيرة نورًا ساطعًا ينير طريقها ويجعله واضحا لها حتى ترى الحق حقا وتتبعه وترى الباطل باطلا فتتجنبه .

وهدفنا من كل ذلك رضى الله سبحانه وتعالى ورضاه عنا عسى الله أن يتقبل منا اللهم آمين ...

خوله العتيقي

الكويت في 22 / 3 / 1990

بسم الله الرحمن الرحيم

وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم

إن وظيفة المرأة المسلمة في عالم اليوم ما هي إلا امتداد لوظيفتها التي بدأتها منذ عهد الرسول ﷺ ، وهي وظيفة نابعة من كونها مكلفة بتعاليم الإسلام كالرجل تماما مع اختلاف يناسب تكوينها وفطرتها التي فطرها عليها الخالق جل وعلا ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ [1] .

ولو وقر في أذهاننا أن الله ماخلق الخلق إلا لعبادته ولغاية كبرى وكلف الرجال والنساء تكليفًا متساويًا للعمل في هذه الحياة لتحقيق غايته من الخلق لما تحدثنا عن وظيفة منفصلة للرجل والمرأة في هذا المجتمع بل سيكون حديثنا عن تكامل العمل وتوازيه بين الجنسين ؛ لأن كلاً منهما سيكون مكملا للآخر ولن تسير الحياة مستقيمة كما أراد لها الله أن تكون لو تبدلت الأدوار بين الرجل والمرأة .

يبين الله لنا في محكم كتابه الدور الذي أراده للرجل والمرأة على حد سواء في تلك الآيات البينات :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا**

---

(1) سورة البقرة الآية 228

والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما * وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [1] .

ففي الآيتين السابقتين يذكر الله جل وعلا الصفات التي عن طريقها يتم تطهير الجماعة الإسلامية وإقامة حياتها على القيم التي جاء بها الإسلام الرجال والنساء في هذا سواء وتُذكر المرأة في هذه الآية إلى جانب الرجل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة وترقية النظرة إليها في المجتمع وإعطائها مكانها إلى جانب الرجل فيما هما فيه سواء من العلاقة بالله ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة [2] لقد رفع الإسلام مقام المرأة في المجتمع الإسلامي وأنقذها مما كانت عليه من حضيض المكانة في المجتمع الجاهلي .

لقد نظر الإسلام إلى المرأة كنظرته إلى الرجل حيث منحها حقوقا كما منحه حقوقا وكلفه بواجبات كما كلفها بواجبات ، وينص على هذا قول الله تعالى في القرآن الكريم حيث قال : **﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾**[3] وبالرغم من أن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات فإنه أصدر أحكاما بشأن المرأة تنبني على رعاية طبيعتها التي خُلقت عليها وعلى استعدادها الخِلقي (بكسر الخاء) والعقلي مما يتم لمصلحتها الشخصية .

المرأة المسلمة وتحديات العصر :

بعد أن دخل الاستعمار الشرقي والغربي بشتى أشكاله إلى العالم الإسلامي العسكرية والثقافية وفككه وشتت قواه في عقيدته وفصل الدين عن الدولة واستغل

---

(1) سورة الأحزاب الآيتان 35 ، 36 .

(2) في ظلال القرآن ج 5 صفحة 2862 — 2863 سيد قطب .

(3) سورة النساء الآية 124 .

الذي ادّعى المدنية في الدعوات لمبادئه الهدامة من شيوعية واشتراكية وأوقر في نفسه أن الدين مساوٍ للرجعية فكل ذي عمامة أو لحية أو ذات حجاب أو نقاب رمز للتخلف ، برز ذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة « مسرحيات وتمثيليات تليفزيونية ، وكاريكاتيرات صحفية » .

بعد نجاح الاستعمار في استقطاب شباب الأمة المسلمة ، لم يبق أمامه إلا المرأة وهي التي تمثل قطاعًا كبيرًا من قطاعات الأمة ليكمل بها إفساد المجتمع المسلم ونخره وتخريبه من الداخل فظهرت الدعوات في كثير من الأمم المسلمة التي تنادي بتحرير المرأة كما طرحت إحدى الكاتبات هذا الرأي بقولها : « إن نجاح التنمية الحقيقية في بلادنا يحتاج إلى تحرير النساء من سيطرة الرجال مثل تحرير البلاد العربية من سيطرة الغرب والرأسمالية العالمية » [1] .

وتتعدى هذا الكلام إلى القول بأن الدين الإسلامي يعرقل حركة المرأة العربية للمشاركة بكل طاقاتها في أعمال التنمية وتؤكد أنه إذا أرادت المرأة العربية أن تشارك بالفعل اجتماعيا وسياسيا فلابد من إقصاء الدين الإسلامي عن شئون الدولة وتسيير المجتمع [2] .

هذا الرأي المتطرف وغيره الكثير الذي يرى بأن نصف المجتمع المعطل لابد أن يخرج من سجنه المظلم إلى النور ويشارك في الحياة العامة لقي استجابة كبيرة من جميع الناس إما عن جهل بهذه الدعوات المغرضة وإما عن اقتناع ساذج بخروج المرأة للدراسة والعمل كما هو حاصل في المجتمعات المتقدمة الأخرى وإما عن وعي مدروس لتخريب مجتمعاتنا المسلمة وإما عن إدراك كامل بأن المرأة المسلمة عليها أن تخرج أو تتحرك لا استجابة لدعوات هدامة ولكن حتى لا تترك الميدان للدعوات

---

(1) العقبات أمام المرأة العربية مع التركيز على مشكلات المرأة الخليجية الصادر عن المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية من 28 — 31 مارس 1981 المجلد الأول صفحة 132 .

(2) المرجع نفسه صفحة 137 .

الهدامة الداعية إلى تحرير المرأة وخروجها إلى جميع المجالات وسفورها واختلاطها بالرجال والتحرر الجنسي إلى آخره دون أن تكون هناك ضوابط نابعة من الشريعة تحمي المرأة وتحمي معها المجتمعات المسلمة من التفسخ والانحلال كما هو حادث في المجتمعات الأخرى التي فقدت فيها المرأة كرامتها ومكانتها وأصبحت تعامل كما يعامل الرجل بخشونة وغلظة مما ينافي طبيعتها الإنسانية التي خلقها الله عليها مما عرضها للأمراض النفسية ومما أدى بها إلى اليأس والانتحار في أكثر الأحيان .

لقد وُضِعَتْ المرأة المسلمة منذ بداية هذا القرن أمام تحد كبير ومخيف في نفس الوقت وطُلِب منها أن تختار بين البقاء في البيت والاقتناع بالبسيط من العلم والاكتفاء بكونها ربة بيت ومربية أجيال أو الخروج إلى الميدان وعدم تركه لغيرها من النساء ذوات المعتقدات الشيوعية والاشتراكية والماسونية وقبول التحدي لتثبت أن الإسلام لا يعارض الحرية ولكنه يضعها في أطر تحفظها وتحفظ للمرأة كرامتها كامرأة ولا يعرضها للابتذال من قبل مجتمع الرجال .

فكانت البداية صعبة وكان الطريق وعرًا وشاقا وكان دعاة التحرير يحرزون قصب السبق في هذا الميدان ويلاقون التشجيع من الحكومات ومن المؤسسات العالمية كالماسونية والصهيونية ممثلين بالاستعمار الغربي وأعوانه داخل ديار المسلمين فكان كل من يقف أمام دعوة تحرير المرأة ومحاولة تقنين خروجها إلى الميدان والدعوة إلى دراسة وضعها كمسلمة يعتبر متخلفًا ذا أغراض حيوانية بهيمية يحاول من خلال هذه الدعوة سجن المرأة في البيت لأغراضه الشخصية فقط .

وبما أن مجتمعاتنا المسلمة عاشت عصورًا من الظلام عُطلت بها الشريعة وأدخلَ عليها الشعوبيون بعد عصر الخلفاء الراشدين كل تخلفهم ومكائدهم وبما أنها مجتمعات فجة نحّت القرآن والسنة النبوية جانبًا وصارت تبحث لها عن قوانين مستوردة من فرنسا وانجلترا فقد كانت استجابتها للدعوات الغربية أسبق من استجابتها إلى من يدعونها إلى التحرر عن طريق الدين والعودة إلى الأصالة الإسلامية ، فالدين عندهم قد أصبح أفيون الشعوب وأصبح ليس ملائمًا لروح العصر وما أمر به المرأة من

حجاب وتستر ما هو إلا حجب على عقلها وفكرها (إن الحجاب هو جزء من حملة أشمل لتأكيد دونية المرأة) [1] (إن الحجاب يرمز إلى رغبة المجتمع في عزل المرأة نفسيا وليس جسديا فقط وعند التدقيق نجد أن الحجاب يمثل خوف المجتمع من المرأة وليس عليها) [2] .

إذًا في نظرهم الحجاب حجر على إمكانات المرأة في بناء مجتمعاتها ، وكثير من النساء استجبن لهذه الدعوة لظروف شخصية فكثير من نساء هذا العالم المتخلف قد وقع عليهن ظلم من زوج أو أب أو أخ ، إذا التحرر يعمل على تحريرهن من هذا الظلم .

ولكنَّ الله يفعل ما يريد ، فبعد أن خرجت المرأة للعمل واستجابت لهذه الدعوات وبلغت من العلم مبلغا بدأ علمها ينفعها فعرفت من خلال العلم الذي تعلمته بعد تجارب عديدة ومريرة أن دينها خير من يحدد لها مسيرتها في الحياة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [3] ، فبدأت الصحوة التي عمت الرجال تعم النساء وعرفت جموع النساء المسلمات أن المستقبل لهذا الدين وأن ليس لها كيان من غير عقيدتها وأن دينها يحفظ لها حقوقها كما لم تحفظها لها أية قوانين أرضية عن وضع الإنسان .

فعادت المرأة إلى الدين وإلى الحجاب الإسلامي وبدأت النساء المسلمات كما وصفهن المستغربون (الردة) إلى الدين ، ولكنها ردة في سبيل الخير وعلى طريق الحق والصواب وبدأ التحدي الكبير .

وكانت هذه الردة هي بداية الطريق وليس نهايته كما اعتقد البعض ، فكثير من النساء الداعيات إلى التحرر يرين أن الدين والتدين والعودة إلى القيام بالفرائض تأتي

---

(1) أثر النفط على وضع المرأة العربية في الخليج ـ د . محمد الرميحي ـ صفحة 241 / 242 .
(2) د . ثريا أحمد عبيد المرجع السابق نفسه ـ صفحة 258 .
(3) سورة فاطر الآية 38 .

في مرحلة متأخرة من حياة الإنسان عندما يكبر ويعجز عن العمل فلا يبقى له إلا الدين يشغل نفسه به ويتوب به عن خطاياه السابقة .

أما المرأة المسلمة الداعية إلى دين الله العائدة له فترى أن ذلك بداية الطريق للعمل في سبيل الإسلام وللتحرر من رق النظريات الوضعية الخاصة بالمرأة والرجوع إلى الشريعة الإسلامية التي كرمت المرأة وأعزتها .

وبدأ التحدي وكان تحدي هذا العصر تحديا مخيفا والحرب أصبحت ليست بين أشخاص ولكنها بين أشخاص وحكومات فالكل خائف من قدوم الإسلام لأن كثيرًا من الشخصيات التاريخية العلمية والقيادية في العالم الإسلامي ستنهار صورتها وتهتز مكانتها إذا ما جاء الإسلام . وأصبحت الحرب شعواء تصب على الإسلام والمسلمين .

فكيف تعمل المرأة المسلمة وما هو موقفها ؟ وهل تترك الميدان أم تقحم نفسها فيه ؟ وما هي وظيفتها في عالم اليوم ؟ أسئلة كثيرة وكبيرة تطرح نفسها على الساحة وتحتاج إلى جواب ، تحتاج إلى أجوبة من أهل الشرع قبل أي كان .

رأي الشـرع :

لقد جوّز أهل الشرع خروج المرأة للعمل إذا كانت هناك حاجة لذلك ؛ حاجة مادية أو اجتماعية مستشهدين بذلك بالمرأة المسلمة في العصر الإسلامي الأول عصر الرسول – ﷺ – وعصر من تبعه من الخلفاء الراشدين فلقد كانت المرأة تعمل حسب حاجات المجتمع البسيطة في ذلك الوقت ، وفي مجتمعاتنا المعاصرة على تعقيداتها خرجت المرأة للعمل ليس بإرادتها في كثير من الأحيان ولكنها أخرجت للعمل بدعوى المشاركة في بناء المجتمع ، وصاحبات الدعوة للتحرر تصدرن الميدان واستولين على المراكز القيادية في أقطارهن وأصبحن يتحدثن باسم المرأة في بلادهن في المنتديات والمؤتمرات والمحافل الدولية ، وأصبحت المتحدثة من مصر تمثل كل نساء مصر بلا استثناء والعربيات عموما سواء وافقنها الرأي أم لم يوافقنها وأصبحت المرأة من لبنان

تتحدث باسم اللبنانيات جميعا والعراقية ... إلى آخر القائمة وأصبحن بالرغم من سفورهن وتحررهن وعدم التزامهن الديني يمثلن المرأة المسلمة من أقطارهن في جميع أنحاء العالم . فعندما يتحدث الإعلام الغربي عنهن يتحدث على أنهن يمثلن المرأة المسلمة في العالم الإسلامي ككل .

من هذا المنطلق بدأت الجماعات الداعية إلى العودة إلى الأصالة وتطبيق الشريعة بدأت ممثلة في جمعياتها المختلفة في جميع أنحاء العالم الإسلامي التفكير في الدخول إلى الميدان وإخراج المرأة المسلمة ولكن بصورتها المشرفة التي أسبغها عليها الإسلام فهي تعمل ولكن بالتزام وفي أماكن معينة لا تهدر فيها كرامتها وفي ملابس محتشمة فرضها عليها الإسلام والشرع ، فكما حث الإسلام على العمل ونادى به فهو كذلك قد قيده فكما أنه لا يحق للرجل العمل في المحرمات وهو الرجل الذي ترك له ميدان العمل مفتوحا على إطلاقه فكذلك المرأة لها أن تعمل ولكن بشروط معينة وقيود .

عمل المرأة المسلمة :

تعلمت المرأة المسلمة وأصبح المسلمون كلهم يسعون لتعليم بناتهن إن لم يكن استجابة لدعوة الرسول – ﷺ – بطلب العلم ولو في الصين أو من المهد إلى اللحد فهو لحاجة مادية . فالمرأة العاملة تنفع أهلها وتنفع أبناءها وتنفع نفسها ضد تقلبات الزمن فأصبح العلم والعمل ضرورة ملحة ولن نجد مسلما أقعد بناته عن التعلم أو عن العمل لأسباب شرعية إلا ما ندر وخصوصا في البلاد الإسلامية – الشرق أوسطيه – التي أنعم الله عليها بالخيرات فما بالنا بالمجتمعات الفقيرة المحتاجة .

إذًا العلم والعمل واقع فرض نفسه وواجب لا يختلف عليه مسلمان ولكن هل يعني هذا أن المرأة المسلمة يجب أن تتعلم كل شيء وتعمل أي شيء ؟ هناك عمل غير نافع كأن تعمل المرأة ليلاً أو تعمل في البناء وفي البورصات وهناك علم غير نافع للمرأة كأن تتعلم قيادة الطائرة أو الباخرة أو الشاحنة . وليس ذلك تشكيكًا

في قدرات المرأة ولكن إبعادًا لها عما ينافي طبيعتها النسوية الرقيقة التي يجب أن تكون عليها دائما وإبعادًا لها عن مواطن الشبهات وحفاظًا على استقرار نفسها وبيتها وعائلتها .

إذن نحن مع عمل المرأة ولكن برأينا البسيط أن هناك مجالات إنسانية كثيرة تستطيع المرأة العمل بها كعمل رسمي مدفوع الأجر كما أن هناك عملا مهمًا وجهاديًا تستطيع المرأة العمل به خارج ساعات العمل الرسمية وهو العمل التطوعي . فالمرأة أكثر صبرا وتحملا للعمل التطوعي من الرجل ولذلك لابد أن تعمل المرأة ما استطاعت في سبيل الدعوة ، الدعوة إلى الدين الإسلامي واستقطاب جماهير النساء الضائعة بين تقاليدها الموروثة وبين دينها وبين حركات التحرير والتحرر والإباحية في المجتمعات المسلمة .

الوظائف المناسبة للمرأة :

نحن نؤمن بخروج المرأة للعمل وبأن لها وظيفة مهمه ودورًا مهمًا في عالم اليوم لا يجب أن تتخلى عنه حتى تكمل دور الرجل الذي استخلفه الله وإياها على هذا الكون ؟ نحن نؤمن بهذا كله إلا أننا لا نريد أن نطلق العنان لهذا الدور وأن نترك المرأة تتخبط في مجاهل هذه الحياة المريرة الصاخبة ولا نريد أن تختلط الأدوار ما بين الرجال والنساء ، ولكننا نريده علمًا وعملا نافعًا له حدوده ومقاييسه بما يتناسب وطبيعة الدين الإسلامي كما يتناسب مع طبيعة المرأة المسلمة التي بينّها الله سبحانه وتعالى لنا في محكم كتابه وفيما أوحى لنبيه ﷺ .

فالتقييد ليس وقوفا أمام نبوغ المرأة وعبقريتها التي تؤهلها أحيانا لشغل الوظائف التي لا يستطيعها الرجل ولكنه تنظيم للحياة وللأدوار فيها بما يرضي جميع الأطراف ويرضي الله سبحانه وتعالى – أولاً وأخيرًا وهذه يجب أن تكون الغاية من العلم والعمل لكلا الجنسين حتى لا يختل ميزان الخلافة أو ينحرف .

وظيفتها كأم وكمربية :

لعل هذه الوظيفة الجليلة فقدت كثيرًا من بريقها بعد أن سادت المجتمعات الإسلامية الدعوات التحررية المناهضة لبقاء المرأة في المنزل لخدمة زوجها وتربية أولادها ، نقول فقدت بريقها لأنها أصبحت تمثل دونية المرأة في مجتمعاتها وأصبحت الدعوات تنتشر بأن المرأة مسخرة لخدمة بيتها وأبنائها وأن دورها في الحياة الاجتماعية يساوي صفرا ، هذا الرأي الخاطئ والجائر والمدسوس على المسلمين ما هو إلا مؤامرة كبرى في اعتقادي على المرأة المسلمة .

فكيف تبني المجتمع من تهدم بيتها ؟ كيف تبني المجتمع من تركت العمل فيه لغيرها من الخادمات الجاهلات الآتيات من طبقات دنيا من أكثر المجتمعات تخلفا وتأخرا وانحطاطا ؟ نحن نؤيد العمل للحاجة ولكن إن كان البيت هو الأصل والمرأة في غير حاجة للعمل فنحن مع بقائها في بيتها لتقوم بدورها كأم وكمربية أجيال ، فالمجتمع ليس في حاجة إلى أبناء ربتهم الخادمات على قيم غير قيمنا الإسلامية وعلى مبادئ منحرفة ، فالخادم لا يعلّم الأدب كما تعلّمه الأم فغالبًا ما يرضخ الخدم لرغبات الأبناء ابتغاءً للسلامة أو عدم اهتمام ويسيطر عليهم الأبناء ويسخرون منهم كانتقام من عدم وجود الأم في البيت أو كإثبات لشخصياتهم الضعيفة الممسوخة خارج مجتمعات بيوتهم . فبقاء الأم في المنزل يعتبر أسمى وظيفة تمارسها المرأة في كل زمان . هذه الوظيفة التي متى ما أدركت المرأة المسلمة مستلزماتها فإنها ستظفر بمعالم للشخصية تفتقدها الكثيرات من النساء اللاتي لم يدركن أو يفهمن أبعاد هذه الوظيفة .

هذه الحقيقة يمكن أن نأخذها ونستقيها من سير الصحابيات كما نستطيع أن نأخذها من سير بعض النساء المعاصرات في وقتنا الحاضر .

ودور السيدة خديجة في تثبيت النبي ﷺ وإعانته على أمور الدعوة معروف ومشهور ، أما أم سليم الأنصارية فقد سبقت إلى الإسلام قبل زوجها فقد بقي زوجها

(مالك بن النضر) مشركا [1] ، وقد تعلقت الأم بعقيدتها الجديدة وخافت على ولدها (أنس) أن ينشأ على الشرك فكانت ـ وهو ما يزال في دور التعلم للكلام ـ تردد أمامه كلمات الشهادتين حتى تستقر المعاني الإسلامية في أعماق الطفل مما كان يثير ثائرة الزوج فيهتف بزوجه ـ لا تفسدي عليَّ ولدي ـ وأم سليم لا تأبه له لأن عقيدتها فوق كل اعتبار ، وتكمل تربية وتضحية هذه الأم العربية المسلمة لابنها حين يرحل زوجها ويقتل في بعض الطريق فترفض الزواج حفاظا وحرصا على ولدها وكانت تعتذر بذلك قائلة : (لا جرم ، لا أفطم أنسا حتى يدع الثدي ، ولا أتزوج حتى يجلس في المجالس ويأمرني) وتبر الأم وتفي بوعدها فتظل ترى وليدها حتى يكبر ويقدر لها هذا الصنيع فيدعو لها حين يقول : (جزى الله أمي عني خيرًا لقد أحسنت ولايتي) ولقد وفت لولدها فجلس في المجالس وسمع له الزمان حين صار من كبار الصحابة المحدثين) [2] .

أين نحن من هذه الأم وأمهات اليوم اللاتي يسعدن عندما يتحدث ابنهن العربي بكلمات أجنبية حتى نطقها غير صحيح لأنه لم يتعلمها من مصدرها الأصلي ولكن من خادمة جاهلة لا تعرف غير بضع كلمات تساعدها على الحديث في المجتمع الغريب الذي تعيش فيه ، والصحف والمجلات العربية زاخرة بأحداث كثيرة تبين لنا مخاطر ترك تربية الأبناء بأيدي الخدم ، والدراسات وفيرة في هذا الصدد وهي دراسات مطولة يصعب الإلمام بها في هذا البحث .

إذًا نصل إلى نتيجة أو نصيحة نوجهها للمرأة المسلمة وللمجتمع المسلم بأن يتجرد من أطماع الدنيا وهوى النفوس وأن يجعل في أولوياته تقديس الوظيفة الزوجية ووظيفة الأم في تربية أولادها وأن الأصل هو تربية الأبناء والفرع هو العمل خارج المنزل فكيف تربي أبناء الناس في المدارس من تركت وظيفة تربية أبنائها لغيرها من

---

(1) معلوم أن أم سليم هذه قد أسلمت قبل نزول آية التحريم التي تفرق بين المرأة المسلمة وزوجها المشرك .
(2) التربية الإسلامية ـ للدكتورة حكمت أبو زيد .

الناس ؟ هل يعقل ذلك عاقل ؟

كيف نعيد المرأة إلى وظيفتها الأصلية ؟

هذا الأمر يحتاج بادئ ذي بدء إلى إحساس ديني عميق نابع من اعتقاد صريح وواضح وإيمان مطلق بأن المرأة قبل كل شيء مكانها البيت كما قال الله في محكم كتابه ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ [1] فإذا ما وقر في ذهن المرأة قبل الرجل أن مهمتها الأسمى ووظيفتها الأعلى هي تربية الأجيال وتهيئة الجو لهم ليكونوا مسلمين صالحين عاملين رافعين لمجتمعاتهم فهي ستبقى في البيت لتقوم بهذه الوظيفة ، وإلا فهي والرجل محتاجان إلى التوعية الدينية والتوعية الاجتماعية التي تبصرهما بأهمية أن تبقى أكثر النساء في منازلهن لتربية الأبناء وتنشئتهم وألا نقلل من أهمية هذا الدور الكبير الذي تقوم به المرأة وأن نحيي فيها مشاعرها الدينية عن طريق جميع وسائل الإعلام ولا يمنع هذا من إصدار فتاوى دينية من علماء أفاضل لهم صوت مسموع في مجتمعاتهم يبصرون ويبينون أهمية بقاء الأم مع أطفالها في سني عمرهم الأولى على الأقل لما في ذلك من فائدة للإسلام وللمسلمين وللمجتمعات الإسلامية .

كما تحتاج من تلتزم وتقوم بهذا الدور الجليل إلى التشجيع من الدولة كصانعة للأجيال ومربية لهم ؟ فعندما تُقَدر النساء ويعلى شأنهن من هذه الناحية من الممكن أن نجد من تستجيب لهذه الدعوة وتعرف على بصيرة وبينة أن عملها المنزلي وتربيتها لأبنائها من أسمى الوظائف وأجداها للمجتمع وأجدرها بالاحترام .

(من الأخطاء المنهجية التي يرتكبها بعض المهتمين والمهتمات بقضية المرأة

---

(1) سورة الأحزاب الآية 33 .

تجاهلهم لأهمية العمل المنزلي ودور المرأة كربة بيت فعلا وقولا فلا ينظرون للعمل المنزلي والجهد الكبير الذي يبذل فيه على أنه مساهمة اجتماعية هامة ولا يقيمون اقتصاديا ما تقوم به ربة البيت ، ويعدون ويحسبون الفتاة المذيعة التي تذيع أغاني ما يطلبه المستمعون ضمن قوة العمل والإسهام الاجتماعي بينما لا يعدون ولا يحسبون المرأة ربة البيت التي تعد الطعام وتكنس الغرف وتغسل الملابس وتراجع دروس الأطفال وغيرها من المهام الخطيرة والجليلة والثمينة ، لا يعدون هذه ولا يحسبونها ضمن قوة العمل ولا يعترفون بإسهامها الاجتماعي على خطورته وأهميته) [1] .

(لقد آن الأوان لتقييم وتثمين دور ربة البيت تقييما اقتصاديا واجتماعيا يليق به ، ولابد من استصدار كافة التشريعات والقوانين لحماية ربة البيت وتسهيل مهمتها العظيمة الجليلة ، وتشجيع الفتاة على العمل المنزلي والإبداع فيه ، فذلك – علاوة على أنه من الأمور الاجتماعية الطبيعية – قد يكون مخرجا من المخارج لمشكلة العمالة الأجنبية غير العربية وغير المسلمة التي بدأت تزاحمنا في بيوتنا) [2] .

2– وظيفتها كمتعلمة ومعلمة :

المرأة أقدر وأصبر من الرجل على العمل في ميادين التعليم ، وهو من أشرف وأسمى الميادين . ففي تصوري أن التعليم يجب أن يحتل الأولوية لدى المرأة المسلمة ، ويجب على المرأة المسلمة المتعلمة أن يكون هدفها الأول والأسمى أن تكون معلمة تعلم الأجيال ، فالتربية هي البناء الحقيقي للمجتمعات والاستثمار الحقيقي للدول ، فكيف تترك المرأة المسلمة الداعية هذا لتشتغل في ميدان آخر يمتهن كرامتها ويخالف طبيعتها ؟ .

وفي اعتقادي أن التعليم واجب شرعي ، فذلك الكم الهائل من الأبناء لمن نتركهم ؟

---

(1) و (2) العمل النسائي في الخليج الواقع والمرتجع – د . عبد الله النفيسي ص 21 – 22 .

لمن لا يفقه دينا حتى يخرب عقولهم أو لمغرض دساس يدس عليهم ؟

إذن مجال التعليم الواسع الكبير يجب أن تقتحمه المرأة المسلمة عن اعتقاد كامل بأن الواجب الديني يدعوها لذلك ، فكما قلنا إنها تمتلك الصبر والقدرة على مشاق العمل في مجال التعليم بما فيه من تعب ونصب ، إلا أننا لو وضعنا نصب أعيننا المحطة النهائية لهذا الجهد أو الفائدة التي ستجنيها المجتمعات المسلمة من هذه الوظيفة لهان في سبيلها كل شيء .

كانت المرأة أو خلقت معلمة بطبيعتها وبما أسبغه الله عليها من قدرات لا يملكها الرجل ، ولنا في الصحابيات – رضوان الله عليهن – أسوة كبيرة ، فقد كان لهن أثر كبير وعظيم في حفظ السنن وتبليغها لا يقل عن أثر الصحابة – رضوان الله عليهم – فقد كانت النساء يحرصن على حضور مجالس الرسول – ﷺ – يستمعن أحاديثه حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله – ﷺ طلبن منه أن يعيّن لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام [1] .

لقد كان لهؤلاء الصحابيات أثر عظيم في حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله – ﷺ .

من هؤلاء النسوة السيدة عائشة ، رضي الله عنها وأرضاها . كانت ذكية فطنة طلابة للعلم يسر لها زواجها من رسول الله ﷺ واختلاطها به معرفة كثير من أحكام الإسلام ولها الفضل الكثير والكبير في نقل كثير مما يتعلق بأمور النساء ، لذلك كانت أكثر نساء رسول الله ﷺ رواية عنه وتعد من أفقه الصحابة وقد شهد بعلمها وفقهها الصحابة والتابعون ؛ مما جعلهم يلتفون حولها يتفقهون منها ويرجعون إليها في أمورهم . عن أبي موسى الأشعري قال (ما أشكل علينا .. أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط ، فسألنا عائشة ، إلا وجدنا عندها منه علما) . وعن عروة عن أبيه قال (ما

---

(1) المرأة ماذا بعد السقوط – الكاتبة بدرية العزاز – صفحة 211 .

رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب ، من عائشة رضي الله عنها وأرضاها)[1] فقد كانت – رضي الله عنها – معلمة لم يقتصر علمها على النساء بل تعداه إلى الرجال .

من هذا نرى أن مجال العلم للمرأة سواء كانت متعلمة أو معلمة هو المجال الذي يمكن للمرأة المسلمة أن ترتاده . فالمرأة أقرب للمرأة حين تتعلم منها وحين تعلمها ، على أن تلتزم بضوابط العمل الوظيفي التي سنذكرها لاحقا إن شاء الله .

وظيفتها كطبيبة وممرضة :

العمل في مجال الطب ، وخصوصا طب أمراض النساء والأطفال ، من الميادين المهمة واللازمة التي تستطيع أن تعمل بها المرأة المسلمة لحاجة المجتمع المسلم إليها . فكثير من النساء لا يحببن التكشف على الرجال ويتحرجن من ذلك ، فلابد من أن يتوفر لهن المكان المناسب والشخص المناسب للعلاج . وواجب المرأة المسلمة ، أن تختار من مجال الطب ما فيه منفعة لعموم المسلمات ، ولا أنفع من هذا المجال للمرأة المسلمة حيث تكون المرأة الطبيبة أقدر على الإحساس بمشاركة المرأة من الرجل ، فهي تتحمل نفس المعاناة وتشاركها نفس الخصائص الفسيولوجية مما يجعلها أقدر على فهمها ومشاركتها وعلاجها ، وخصوصا أن كثيرًا من النساء في مجتمعاتنا المسلمة بعد صحوتهن الدينية وفي كثير من الحالات غير المستعصية يرفضن رفضًا قاطعًا الاستسلام ليد الطبيب ويفضلن أن تكون طبيبة امرأة مثلهن للكشف عليهن .. وبالمثل الممرضة التي أصبحت في عصرنا الحاضر مكملة لعمل الطبيب . فلو اتجهت جموع النساء اللاتي لم يحالفهن الحظ في دخول الجامعات إلى كليات التمريض بدلا من العمل كمأمورات بدالة وشرطيات إلى آخر القائمة الدخيلة – لو اتجهن إلى العمل في سلك التمريض

---

(1) صفة الصفوة – لابن الجوزي .

وعرفن حاجة البلاد الماسة إلى هذا النوع من العمل (الدول الخليجية تستورد الممرضات من الدول الآسيوية بكثرة) فسيكسبن أجرين : أجرًا دنيويا وآخر أخرويا ، فلا يخفى علينا ما لهذا العمل من أجر كبير عند الله – سبحانه وتعالى – خصوصا إذا لازم العمل تقوى وحسن خلق ولين جانب ، فسيكسبن أجرا ماديا يساعدهن على أمور حياتهن .. فكما كانت نساء الصحابة يعملن في التطبيب والتمريض فامرأة اليوم تستطيع أن تعمل في هذا المجال . ولنا في الصحابيات أسوة حسنة ، فقد كانت زوجات الرسول ﷺ ، ونساء المسلمين يصحبن النبي ﷺ إلى ميدان القتال فيسقين المجاهدين ويداوين الجرحى وبقي العمل عليه جاريا بعد نزول الحجاب أيضا [1] .

عن أمية بنت قيس الغفارية قالت (أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال على بركة الله)[2] .

تقول الربيع بنت معوذ « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة [3] .

وهذه نسيبة بنت كعب الأنصارية ومعها وفد من المسلمات إلى الرسول ﷺ يسألنه السماح لهن بالجهاد معه فقال : وماذا تفعلن يانسيبة ؟ فقالت نرتق الثياب ونسقي الجرحى ونداوي المرضى . ولقد أتى وقت على نسيبة حملت فيه السيف وشاركت في قتال الكفار .

ماذا أردنا من إيراد هذه الأمثلة وذكرها ؟ أردنا أن نبين أن هذا الباب مفتوح شرعا للنساء ، فتحه الرسول ﷺ وجوزه للمسلمين ولكن نكرر : بضوابطه الشرعية من عدم الاختلاط بالرجال إلا للضرورة وسمت إسلامي ولباس إسلامي محتشم حتى

---

(1) المرأة ومكانتها في الإسلام – أحمد عبد العزيز الحصين – صفحة 79 .
(2) صحيح البخاري .
(3) البخاري ج 4 ص 34 باب فضل الجهاد .

تنال المرأة احترامها وحتى لا تخرج من دائرة دينها ، فالله سبحانه وتعالى جعل لكل أمر ميسر ضوابط شرعية تحكمه حتى يحفظ التوازن في المجتمع وبين الناس ، وحتى لاتختل القيم والموازين . فما على المرأة المسلمة إلا أن تقتحم الميدان وتثبت نفسها وكفاءتها ولكن بسمتها الإسلامي الذي فرضه الله عليها .

وظيفة فنية :

هناك نساء حباهن الله بمواهب فنية ، كالبراعة في الخياطة والتطريز والبراعة في الطهي وترتيب المنزل بما يسمى الآن بأعمال الديكور وهذه المواهب الفنية لايجب أن تُهمل من قبل المرأة ، فهي الوظيفة التي تستطيع المرأة ممارستها من غير خروج من المنزل أو اختلاط بالرجال . فإن لم تكن معلمة رسمية تعلم تلك الفنون في المؤسسات الرسمية كالمدارس ، فيجب عليها أن تستغل هذه الموهبة في منزلها كأن تقيم لها مشغلا للخياطة أو التطريز ، أو أن تساعد غيرها في طهي الطعام وبيعه إن كانت ممن يجدن الطهي ، أو أن تساعد غيرها في أعمال الديكور ما دامت مهنة أصبحت سائدة في مجتمعاتنا النفطية يُجلب لها الرجال من مختلف المدن الأوروبية ، فلا مانع من أن تدرس المرأة هذا الفن وتستشار في هذا العمل إن كانت تملك الموهبة لذلك ، وأضعف الإيمان أنها بإسلامها تستطيع أن تضفي لمسات إسلامية على منازلنا التي أصبحت من الداخل كأنها بيوت أوروبية بتقسيمها وديكوراتها ، فلمسات المرأة في هذه المجالات السابق ذكرها غالبا ما تكون أرفع وأجمل من لمسات الرجل . لقد أوقر الغرب في أذهاننا أن الرجال الطهاة ومصممي الأزياء ومهندسي الديكور أقدر ويملكون ذوقا رفيعا لاتملكه النساء ومن ذلك ما نراه منتشرًا في الشرق والغرب ، ولكن الحق والحقيقة أن هذه الفكرة من الممكن أن تدحض لو حاولت النساء اختراق هذا الميدان في بلاد المسلمين فسيجدن الكثير ممن يتعامل معهن ، وبذلك تطرد المرأة المسلمة السآمة والملل عن حياتها وتشغل وقت فراغها بما يعود عليها بالنفع والخير .

تقول خولة بنت قيس (كنا في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدرًا من خلافة

عمر في المسجد نسوة وقد تخاللن وربما غزلنا وربما عالج بعضنا فيه الخوص) فيجب على المرأة المسلمة ربة البيت أن تدرك قيمة الوقت وقيمة البذل والعطاء من خلال ممارسة هذه الأنشطة والهوايات ، ولا مانع من أن تتحد النساء فيُقِمن أسواقا خيرية يعود جزء من ريعها للمؤسسات الخيرية أو ما يرينه مناسبا مما يكون له الأثر الطيب على المرأة والمجتمع .

وظيفتها كداعية :

بعد أن عددنا المجالات التي تصلح لأن تتخذ منها المرأة وظيفة وعملاً لها بعد أن رأينا أن مجالات عمل المرأة غير الملتزمة واسعة ومتعددة وبعد أن خرجت النساء إلى ميادين العمل المختلفة وبعد أن وجدت المرأة المسلمة نفسها أمام التحدي الكبير وهو أن تترك الميدان لمن يفسد فيه أو تقتحمه باسم الإسلام وتناضل وتجاهد كغيرها من النساء ، كان لابد من التركيز على عمل معين فيه فائدة كبيرة لعموم النساء المسلمات وهو عملها كداعية ، وهذا وإن كان يحتاج علما للدخول عن طريقه إلى نفوس الناس المدعوين إلا أنه يستطيعه كثير من النساء ممن يملكن القدرة على الإقناع والكلام بالموعظة الحسنة ممن أفاء الله عليهن ببعض العلم الشرعي وممن فتح الله على بصائرهن بشيء من الذكاء .

أصبح العمل في مجال الدعوة أحيانا يحتاج إلى تفرغ بعد أن زاد العداء ضد الدعوة أو الصحوة الجديدة وبعد أن أحس المتحررون أو المنادون بالتحرر من الدين الإسلامي بخطورة الموقف الذي يواجهونه فتكتلت الفئات المختلفة كلها لمحاربة الدين .

ولذلك أصبح واجبا أن تدخل المرأة إلى جانب الرجل في هذا الميدان . وإذا كانت الدعوة الإسلامية قد قامت على كواهل الرجال الذين بايعوا رسول الله ﷺ فإن المرأة لم تحرم من هذا الخير فلقد تحملت المرأة المسلمة أعباء الدعوات إلى الله منذ فجر الإسلام الأول .

كان العمل في مجال الدعوة بالنسبة للنساء كما هو بالنسبة للرجال ، ولازال يتم عن طريق الدعوات الشخصية في جميع المجالات في أماكن العمل وفي المدارس وفي المنتديات والنوادي الاجتماعية وكان عملاً فرديًا مشتتا ولكنه ولله الحمد والمنة آتى أكله وثماره ، وهذا ما نراه حولنا من تزايد في أعداد النساء والشباب الملتزمين الذين اتخذوا من الإسلام طريقا ومنهجا لحياتهم .

ولكن في اعتقادي أن على المرأة أن تكثف من جهودها في هذا المجال . فإذا ما عددنا الدعوة لدين الله وتطبيق شرعه جهادا في سبيله ، إذا ما عددناه كذلك فلابد من أن نضع القواعد ونرسي الأسس لهذا النوع من العمل مسترشدين بذلك بسيرة الدعاة منذ عهد الرسول ﷺ إلى عهدنا الحالي ويجب أن يدخل إخلاص النية في هذا العمل ، فعلى المؤسسات الإسلامية من دينية وتربوية أن تعمل على تفريغ كوادرها وتعبئتهم لهذا العمل بما فيه من عناء ومشقة .

لقد قلنا إن المرأة تستطيع العمل في مجال الدعوة كجزء من عملها ككل أي في أوقات فراغها الإضافية وهذه من الممكن أن تفيد كثيرًا ، وكثيرا ما أفادت . فقد بدأ العمل الإسلامي النسائي بجهود نساء عملن من أجل الدعوة في وقتهن الإضافي أو وقت فراغهن . ولكن إذا أردنا للمرأة المسلمة أن تقف شامخة وإذا أردنا للدعوة أن تقوى وتصمد وتستمر فلابد من النظر إلى عمل المرأة كداعية نظرة عصرية كأي عمل يقوم به أي شخص كان في أي مكان ، وهو أن تتفرغ لهذا العمل تفرغا تاما . ولعل هناك من يسأل وماذا تعمل المرأة إن كانت تملك مقومات الداعية ولا تستطيع التفرغ لأنها لابد أن تعمل ولديها التزامات أسرية ومادية كثيرة ؟ لهؤلاء نقول ـ إن كانت المرأة ذات مال ويسار وإن كان زوجها أو والدها غنيا وتستطيع الاستغناء عن العمل والتفرغ للدعوة واحتساب ذلك لوجه الله ، فيجب عليها أن تسارع إلى ذلك بدون تردد ، فنحن نعمل ابتغاء وجه الله والفوز بالآخرة فمن أراد الآخرة فلابد أن يطلق الدنيا .

ولكن المشكلة تكمن في هذا النوع الثاني وهو كثير . فهناك المرأة الداعية التي

تملك كل مقومات الداعية ولكنها لا تستطيع التفرغ لهذا العمل لكونها مسئولة عن أسرة أو محتاجة إلى العمل .

في رأيي أن على المؤسسات الإسلامية أن تفرغ الدعاة وتقدم لهم العون المادي المكافئ لما يأخذن من الدولة من أجور في مجال تخصصاتهن حتى يتفرغن للعمل في سبيل الدعوة ، والمرأة تستطيع عمل الكثير كداعية إن توفر لها العلم الشرعي والوقت والمال .

ونحن لا نعني بالتفرغ أن نلغي دور الداعية غير المتفرغة العاملة في مجالات عملها ، ولكن بما أن العالم الإسلامي يمر بأحداث جسام وكثيرة وبما أننا بحاجة إلى الداعية المتفرغة فلابد أن تلقى هذه الوظيفة الاهتمام الكافي من أفراد المجتمع كافة ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ (1) .

مقومات الداعية :

القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ (2) يقول القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة « إن الله تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف ورأسها الدعاء إلى الإسلام » (3) .

يتضح بجلاء من دراستنا للقرآن والسنة النبوية أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية

---

(1) سورة العنكبوت الآية 69 .
(2) سورة التوبة الآية 71 .
(3) تفسير القرطبي ج 4 صفحة 47

مكلف بهذا الواجب ذكرا كان أو أنثى . يوضح هذا الأمر قوله جلَّ وعلا ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ [1] .

معنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله ، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه [2] .

والدعوة إلى الله قد تؤدى بصورة فردية وقد تؤدى بصورة جماعية ، أي إما أن يقوم بها المسلم على نحو فردي بصفته فردا مسلما أو يؤديها بصفته فردا في جماعة تدعو إلى الله ، يدل على هذا كله قول الله تبارك وتعالى ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[3] .

ولكن الدعوة الفردية أضعف في التأثير وجلب الأنصار من العمل الجماعي القوي ، فالجمعيات النسائية المنتشرة في عالمنا العربي والقوى الداعية إلى التحرر وغيره قامت على أكتاف مؤسسات منظمة لها فروع في أقطار الأرض تعمل دون ملل أو كلل للتبشير بدعواتها سواء كانت باطلة أو حقة ، فلم لا تعمل المرأة المسلمة ضمن جماعة تقويها وتحميها وتؤهلها لأن يسمع صوتها الجميع ، فإن عملها في جماعة أثبت من عملها بمفردها فهي تحتاج للخبرة التي تملكها الجماعة وتحقق العلم النافع بما تتدارسه مع أخواتها ، والعمل الجماعي يكشف شخصيتها وقدراتها ويصقلها . ففي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد » يقول الدكتور صادق أمين « لقد حدد الحديث أن المراد بالجماعة هم الملتقون بالله المؤتلفون على دينه مهما كان عدد الجماعة ضئيلا فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، وأشد ما تكون حاجة الناس عندما يعم الفساد » بعد هذه المقدمة نرجع إلى القول إن لكل داعية مقومات للشخصية يجب أن تتوفر فيها وأن تلتزمها حتى تكمل طريق الدعوة وحتى تؤدي

---

(1) سورة يوسف ، آية 108

(2) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان صفحة 299

(3) سورة آل عمران الآية 104 .

مهمتها على أكمل وجه .

وأول شرط لمقومات الداعية هو :

العلـم :

في البداية نقول إن على كل مسلم أن يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه وبقدر استطاعته . فالمسلم يدعو إلى الله باعتباره مسلما مؤمنا بالله ورسوله فالإسلام لا يكتفي من المسلم بأن يكون في نفسه صالحا مهتديا وإنما يريد منه أن يكون مصلحا وهاديا لغيره .

وإذا كان العلم ضروريا لكل مسلم ، فالداعية القدوة هي أكثر الناس حاجة لتعلم العلم ، لذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا) [1] .

فمن أرادت أن تحصل الدعوة فهي محتاجة إلى علم تتأكد فيه الداعية من صحة خطواتها وتصحيح خطوات الآخرين . فالداعية تحتاج إلى العلم قبل العمل حتى تعلم ما تريد وتقصده وتعمل للوصول إليه . والمقصود بالعلم المطلوب للداعية هو العلم الذي قام عليه الدليل الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله أو من أدلة الشرع الأخرى . وعلى الداعية أن تستزيد من العلم الشرعي النافع لتعرف موضوع دعوتها ولتكون فيها على بصيرة وبينة ، فلا تأمر إلا بحق ولا تنهى إلا عن باطل . وفضل العلم نطق به القرآن وأكدته السنة النبوية ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [2] .

وفي السنة النبوية المطهرة « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين » فصاحبة الدين تنفع غيرها بما ترشدهم إليه وتدلهم عليه وتوصلهم به إلى ربهم . فعلى الداعية المسلمة

---

(1) البخاري – فتح الباري ج 1 صفحة 165 .

(2) سورة المجادلة الآية 11 .

أن تكون دائما من المتفقهات في الدين العاملة بأحكامه معلمة للناس الخير .

القدوة الحسنة :

الداعية تكون متبوعة بكلامها وأفعالها إما بسبب تفوقها بالعلم أو بالعبادة أو لقدمها في طريق الحق ، وكلها تندرج تحت اتباع الرسول ﷺ وعلى مقدار اتباعها لما جاء عن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ يكون أو تزداد الأتباع لها أو تنقص فالداعية بعلمها ومسلكها يجب أن تكون قدوة لغيرها من البشر تمثل لهم النموذج الإسلامي الذي يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة حتى إذا ما فعلت أو قالت كانت تمثل الإسلام في كل حركة وسكنة . عندما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق الرسول ﷺ قالت (كان خلقه القرآن) ونحن نريد للداعية أن يكون خلقها القرآن ولا نريدها أن تكون كبعض العلماء الذين وصفهم ابن القيم في كتابة « الفوائد » الذين يعلمون وينفر الناس منهم إذ قال فيهم (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق) أعاذنا الله من أن نكون من هؤلاء .

فللقدوة أهميتها وتكمن في أن المثال الحي الراقي للخلق الإسلامي يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة ، فالإنسان يحاول تقليد ما استحسنه ، ثم إن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة ، ثم إن الرؤية بالعين المجردة مثال حي لكل الناس فقد تتفاوت مستويات الفهم للكلام عند الناس ولكن الفعل أبلغ من القول وأيسر في إيصال المفاهيم .

شروط القدوة الحسنة :

1 – يقول سيد قطب رحمه الله في كتابه (أفراح الروح) « آمن أنت بفكرتك أولا عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ، لا حياة لفكرة لم تتقمص روح الإنسان وهذا هو الشرط الأول للقدوة الحسنة أن يؤمن صاحب الفكرة بها » .

2 – حسن الخلق ، فحسن الخلق يقرب من القوة ، فالداعية تحتاج إلى دعوة الناس بالتعامل مع نفسياتهم المتعددة . ومن أهم الأخلاق التي يجب أن تتحلى بها الداعية الصبر بجميع أنواعه والرحمة والرفق والتواضع والمخالطة .

3 – موافقة العمل للقول فالناس لا يتبعون من يقول ما لا يعمل ومن تخالف أفعاله أقواله ولهذا حذرنا الله سبحانه وتعالى من مخالفة أفعالنا لأقوالنا قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لاتفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾[1] ، فلتحذر الداعية من مخالفة أقوالها لأفعالها فإن هذا أدعى للإقبال عليها وقبول قولها .

الرفــق :

إن القدوة وحدها لاتكفي في النجاح في جذب قلوب الناس ولكن لابد أن يرافقها رفق ولين ، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ﷺ ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[2] .

---

(1) سورة الصف الآيتان 2 ، 3

(2) آل عمران 159 .

يقول سيد قطب رحمه الله (الناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، في حاجة إلى قلب رحيم كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ) الظلال .

يجب على الداعية أن تتوفر فيها الطبيعة الخيرة الرحيمة اللينة المعدة لأن تتجمع حولها القلوب وتتآلف حولها النفوس فيجب عليها أن تكون رحيمة بمن معها لينة شفيقة على الناس تريد الخير لهم والنصح لهم ، ومن شفقتها عليهم دعوتهم إلى الإسلام لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى . وما دامت الداعية تنظر إلى من تدعوهم نظرة الشفقة والرحمة عليهم فإنها تعفو عنهم في حق نفسها كما قال تعالى ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾[1] .

فلو كانت الداعية فظة غليظة القلب لم تنجح في عملها ولا يقبل الناس عليها وإن كان ما تقوله حقا وصدقا . هذه طبيعة الناس ينفرون من الغليظ الخشن القاسي ولا يقبلون قوله .

وكما يجب أن تتحلى الداعية بالرفق فكذلك يجب عليها أن تأخذ من هذا الدين برفق وما دام الرفق صفة من صفات الدعاة فإنه لا يتصور أن تكون داعية رفيقة وهي مازالت عنيفة غليظة مع الحيوان والنبات والجماد فرفقها يجب أن يكون متكاملا يشمل العباد ومخلوقات الله كلها فكما هو واجب في التكاليف وفي المعاملات فهو كذلك واجب في كل أمر من أمور الحياة .

---

(1) الأعراف 199

الشعور بمعية الله :

هذا الشعور يعطي الداعية القوة والثبات واليقين والجرأة والصبر والثقة وهو يدل على تعلق الداعية المسلمة بربها وتوكلها عليه لتيقنها بأنه هو المنفرد بالضر والنفع والعطاء وأن الله تعالى يكفي من يتوكل عليه ويفوض الأمور إليه ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [1] .

فالداعية تثق بالله ثقة كاملة بأنه سيحفظها وينصرها ويدفع عنها الشرور .. قال تعالى ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾[2] .

﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ [3] .

والداعية لا تيأس أبدا لأن اليأس من صفات الكافرين المنقطعة صلتهم بالله عز وجل ، قال عز من قائل ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ [4] فهذا الاتصال بالله جل جلاله ضروري جدًا للداعية المسلمة يجعلها تحس بعزة الإيمان لأنها موصولة بالقوي العزيز ، فلا يعظم في عينيها باطل لأن الباطل وأهله لا يعظمون في أعين المؤمنين .

هذا الشعور العميق بمعية الله يجعل الداعية المؤمنة صلبة في مواقفها وفي مواجهة الباطل فتحقق بذلك الشرط الأول من شروط الداعية وهو القدوة الحسنة التي يجب أن تظهر بها أمام غيرها من الناس .

---

(1) سورة الطلاق الآية 3 .
(2) سورة الحج الآية 38 .
(3) سورة الصافات الآيات (171 ـ 173) .
(4) سورة يوسف الآية 87 .

أمور تحتاجها الداعية :

الداعية من حيث إنها حاملة رسالة فإن ما هو مطلوب منها أكبر وأعظم مما هو مطلوب من أي امرأة أخرى في المجتمع ولو أننا نحبذ أن يتحلى جميع النساء بما تتحلى به المرأة الداعية . فمادمنا نهدف من وراء كلامنا كله إلى تكوين النموذج النسائي الإسلامي كما وصفه القرآن وحددت معالمه السنة النبوية هذا النموذج الذي نريد له أن يقود نساء العالم بسلوكه وفكره وتعامله وعطائه وبذله فأول ما يجب على المرأة الداعية إن كانت تريد لها وظيفة في المجتمع المعاصر أول ما يجب عليها التزامه هو :

السمت الإسلامي :

ليس أجدر من المرأة المسلمة أن يتحقق فيها هذا المفهوم وهو التزامها بالسمت الإسلامي الذي يجعل قولها مطابقا لفعلها فلا تُعلِّم آيات الحجاب وهي سافرة ولا تنهى عن خلق وتأتي مثله فسلوكها كله متفق وروح الإسلام ومبادئه فمظهرها وأخلاقها إسلامية وطاعتها وانقيادها تام وخالص لله تعالى ولا نريد أن نزيد شيئا على ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ حين سُئلت عن أخلاقه فقالت (كان خلقه القرآن) فكذلك المرأة الداعية يجب أن يكون خلقها القرآن في بيتها وبين أولادها وفي محيط أسرتها وعائلتها الكبيرة وفي محيط عملها فمادمنا كما قلنا سابقا نربي بالقدوة فالداعية يجب أن تكون هي القدوة في كل عمل تقوم به .

حجاب المرأة المسلمة :

وأول ما يميز سمت المرأة حجابها الذي أمرها به الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه عندما قال سبحانه ﴿ **يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين**

عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيمًا ﴾ [1] **﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾**[2] فالمجتمع العربي المسلم كامل بدينه وسليم باخلاقه التي اكتسبها من القرآن والسنة ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتى والفتاة في حدود المعقول وما أمر به الشرع ، ولابد أن نضع أمام أعيننا أنه مجتمع مختلف عن المجتمعات الأخرى التي لا تدين بالإسلام ، فالإسلام أمر بالحجاب وحرّم التبرج وهو لم يحرّم إلا ما فيه مفسدة أو مضرة للمجتمع ، فقد انتشر الفساد بين الشباب والشابات بسبب الاختلاط والتبرج وهددا كيان الأسرة التي كانت تنعم بالاستقرار والهدوء والطمأنينة بتمسكها بالإسلام وقد حدث ما حدث للمجتمعات الإسلامية في غفلة من الزمن ونحن لا نريد لما حدث أن يستمر ونريد من المرأة أن تعود لسمتها الإسلامي وتتمسك به لأنها تتمسك بركن من أركان الدين ، ولا أجدر من المرأة التي اتخذت من الدعوة سبيلا لها أن تلتزم بهذا السمت وتلتزم بالحجاب حتى تربي الجيل المدعو على أمور الدين ، والمجتمعات المسلمة مليئة بالنساء المحجبات الطبيبات منهن والمدرسات ... الخ لم يمنعهن الحجاب من عملهن بل تفرغن لعملهن والتزمن به التزاما كاملا بدلا من تضييع وقتهن في التزين للحضور إلى العمل .

أخلاق الداعية :

المرأة الداعية مثال حي لما يدعو له الدين ، فهي راعية ومسئولة في نفس الوقت في أي مجال من مجالات العمل هي القدوة تلتزم بالحضور بمواعيد العمل المحددة لا تكثر من الأجازات وتحمّل غيرها ممن يعمل معها القيام بعملها وتكليفهم فوق ما

---

(1) سورة الاحزاب الآية 59

(2) سورة النور الآية 31

يطيقون هي مخلصة في معاملة الناس الذين تتصل بهم ، فهي لاتخدم إنسانا لأنه ابن كبير وابن عائلة غنية على حساب الفقير المعدم ، هي لا تتجاوز القوانين لأسباب شخصية تعامل الناس بمساواة تامة كاملة ، لطيفة الحديث ، حلوة المعشر ، تختار كل وقت وكل حادثة لتبث دعوتها وتدلل من خلالها على وجود الخالق العظيم ، ففي كل مجال آية من آيات الله لابد أن تكشف عنها لمن يعمل أو يتعامل معها ، لسانها رطب بذكر الله تبدأ كل عمل بالتسمية وتحمد الله على كل شيء ، وتشكر الله وكل من يعمل معها لأي شيء ، فهي القرآن يمشي على الأرض ، تصادق الجميع وتحرص على حسن المعاملة مع من يخالفها الرأي لعل الله يهدي على يديها من يشاء ، وإن لم يرد الله لهم الهداية فلا أقل من أن يحملوا لها الاحترام والتقدير وهذا في حد ذاته يعتبر كسبا للمرأة المسلمة الداعية .

المرأة والوظيفة السياسية :

لقد وفدت إلينا عدوى اشتغال المرأة بالسياسة من الغرب ، ومع أن الغرب لم يعط هذا الحق للمرأة إلا بعد مئات السنين من نهضته إلا أننا يحق لنا أن نسأل : ماذا كانت نتيجة هذه التجربة عند الغربيين ؟ وماذا أضافت من جديد على الحياة السياسية العامة ؟ وماذا كسبت المرأة من وراء اشتغالها بالسياسة ؟ لا تزال المرأة الغربية تعاني التفرقة بينها وبين الرجل في الأجور ولا تزال كرامتها تمتهن في شتى المجالات . تقول إحدى الدراسات التي نشرت في جريدة الغرب القطرية إن 80 ٪ من الأمريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا إلى رواتب الرجال (المرأة التي تقوم بنفس عمل الرجل تحصل على أجر يوازي 63 ٪ من أجره) .

وفي فرنسا كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلق في وجه الفتيات وفي اليابان لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا من الفتيات هناك عن 10 ٪ ممن أنهين دراستهن الثانوية ، أما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة فهي قليلة ففي عام 1979 لم يحصل على عمل سوى 20 ٪ من خريجات المعاهد العليا والكليات التي

تستمر مدة الدراسة فيها سنتين وتشكل النساء 8 ٪ من المدرسين في المعاهد و 10 ٪ من الأطباء . والمتتبع لهذه القضية يلاحظ تناقص عدد النائبات في البرلمانات الأوروبية وفي أمريكا سنة عن سنة ، ومعنى ذلك أحد أمرين إما أن الرجل رأى أنه لا فائدة من إعطاء المرأة حقها السياسي لأن الأسرة زادت تفككا ، أو أن المرأة نفسها أصبحت عازفة عن الاشتغال بالسياسة .

والإسلام يقف موقفا حذرا أو لنقل نافرا من عمل المرأة في السياسة لا لعدم أهلية المرأة فإننا لا نعدم امرأة قوية متعلمة ذات شخصية تستطيع أن تقوم بهذا العمل ولكن للأضرار الاجتماعية التي تنشأ عنه وللمخالفات الصريحة لآداب الإسلام وأخلاقه وللجناية التي تجنيها المرأة على الاسرة وتماسكها إذا اشتغلت في هذا المجال .

ولقد اختلف الكتاب والباحثون حول اشتغال المرأة بالسياسة وأمورها وهناك حادثتان يستشهد بهما الكتاب على اشتغال المرأة بالسياسة ، أولهما مبايعة الرسول ﷺ للنساء ، والحادثة الثانية موقف السيدة عائشة ودورها في موقعة الجمل .

يقول الكاتب (عبد المتعال محمد الجبري) في كتابه (المرأة في التصور الإسلامي) في الصفحة 59 : من هذا المنطلق الواقعي لطبيعة الإسلام دين الحياة والعمران رأينا رسول الله ﷺ يبايع النساء ولا يستطيع أى امرئ له إلمام بالتاريخ أن يجهل بيعة النساء في السيرة .

ويقول في الصفحة « 60 » : بل إن موقف السيدة عائشة في محاولة للصلح بين عليّ وخصومه تلك التي اتهمت فيها بالانحياز يدل على ما كان للمرأة من وزن في العمل السياسي . بينما يقول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) في الصفحة « 151 » يقول : لا نعلم في تاريخ الإسلام كله أن المرأة تسير جنبا إلى جنب مع الرجل في إدارة شئون الدولة وسياستها وقيادة معاركها وكل ما يرويه لنا التاريخ أن النبي - ﷺ - أخذ من النساء بيعة ﴿ **على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن** ﴾ ... إلى آخر الآية ويقول الكاتب من زعم أن هذا يدل على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة فقد ركب

متن الشطط وحمَّل وقائع التاريخ ما لاتحتمل .

كما يقول في الصفحة « 52 » (ونعلم أن عائشة أم المؤمنين خاضت معركة شهيرة في التاريخ هي معركة الجمل وكانت قائدة المعركة فيها من وراء ستار وهي على هودجها ولكن المؤكد أنها ندمت على ما فعلت إذ ما كان يجوز لها الخروج من بيتها كزوجة للرسول ﷺ بنص القرآن ولكنها تأولت فأخطأت ثم تابت واستغفرت فلا يمكن أن يتخذ عملها هذا دليلا على اشتغال المرأة المسلمة بالسياسة في تلك العصور .

سواء كنا ممن يعتبر هاتين الحادثتين عملا سياسيا أو لا نعتبرهما فالدليل على أن المرأة المسلمة قد أسهمت في الحياة الإسلامية العامة للمسلمين واضح بين من هاتين الحادثتين ، وهما دليل على أن المرأة كان دورها كما قلنا في مكان سابق موازيا ومكملا لدور الرجل في تسيير دفة الحياة الإسلامية منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا الحاضر وإن كانت قد مرت على النساء بعض العصور المظلمة التي حرمت فيها المرأة من التعليم ومن المساهمة في الحياة العامة فذلك كان لبعض الظروف السياسية التي كانت تمر بها الأقطار الإسلامية في فترات مختلفة من التاريخ .

ولكن نعود للقول إن الإسلام برغم إعطائه المرأة كل حقوقها وبرغم مساواته لها بالرجل في الأهلية الحقوقية المالية والأهلية الإنسانية إلاّ أنه يرى من الخير لها ولأسرتها وللمجتمع ككل أن تتفرغ لشئون الأسرة وتهتم بها ولذلك أسقط عنها تكاليف المعيشة وألزم زوجها بالإنفاق عليها كما ألزم أباها بالانفاق عليها حتى تتزوج .

أدركت المرأة المسلمة في صدر الإسلام الأول الدور الذي أراد لها الإسلام أن تضطلع به وأدركت واجبها الأول في الحياة وهي أن تكون أما وربة بيت وأدركت المغزى من الآية الكريمة ﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ فبقيت مختارة في البيت ورضيت بهذا الدور أزمانا طويلة وهي في هذا الموقف تشبه المرأة السويسرية في عصرنا الحاضر عندما نالت حقوقها كاملة من مساواة وحق سياسي ولكنها رفضت أن تستعمل هذا الحق وفضلت الأعمال التي تتجاوب مع

طبيعتها وأكثرهن فضلن أن يتفرغن لبيوتهن وأولادهن على أن يخضن معارك السياسة بما فيها من عناء وشقاء .

ولكن وبما أن المرأة المسلمة لم تبق على ما كانت عليه مستقرة في بيت الزوجية ومتفرغة لشئون زوجها وأولادها وبما أنها وبتأثير من الحضارة الغربية أو بإيعاز لها من المناصرين للاتجاهات الغربية الذين جعلوا من المرأة قضية بما أنهم أصبحوا يطالبون لها بأن تنال حقوقا سياسية كالرجل وبما أنها حصلت على حق الانتخاب في بعض الأقطار العربية وحصلت على حق الترشيح والانتخاب في أقطار أخرى فلابد أن ننظر إلى هذه الوظيفة الجديدة على مجتمعاتنا نظرة فاحصة إسلامية ولابد أن نعرف موقف الإسلام منها قبل كل شيء حتى نجعلها وظيفة مشروعة للمرأة حق في ممارستها كأي وظيفة أخرى في المجتمع .

رأي الشرع في وظيفة المرأة السياسية :

المرأة في الإسلام ليست ممنوعة من أن توكل إنسانا بالدفاع عن حقوقها والتعبير عن إرادتها كمواطنة أو عضوة فعالة في المجتمع وعندما نادت الآيات الرسول ﷺ ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ [1] كان المولى – جل وعلا – يقرر مبدأ من مبادئ الإسلام لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه ، وكان الله سبحانه وتعالى يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الراشدة أن تربى بالشورى وأن تُدرب على حمل التبعة فالإسلام ينشئ أمة ويربيها ويعدها للقيادة الراشدة [2] .

والتوجيه الإلهي لم يقتصر في هذا الأمر على الرجال دون النساء والخطاب موجه للأمة المسلمة رجالها ونسائها والإسلام لم يمنع إعطاء المرأة حق الانتخاب فمن حقها أن تنتخب من يمثلها في الحكم وفي تصريف أمور الدولة ، وعملية الانتخاب عملية

---

(1) سورة آل عمران الآية 159 .
(2) في ظلال القرآن سيد قطب ج / 1 صفحة 501 / 502 .

توكيل يدلي الشخص بصوته في مراكز الاقتراع لمن يختارهم وكلاء في المجلس النيابي ليتكلموا باسمه ويدافعوا عن حقوقه . إذن الإسلام لم يمنع المرأة من أن تكون ناخبة ولكن بشروط وهي :

1 ـ ألا تختلط بالرجال اثناء التصويت والاقتراع بل يخصص للنساء مكان خاص بهن منفصل عن مكان الرجال حتى لا تختلط النساء بالرجال .

2 ـ أن تحدد الفئات اللاتي يجب أن تنتخب أو يحق لها الانتخاب فما نراه في بعض المجتمعات البدائية المتخلفة التي أجازت الترشيح والانتخاب واستغلت فقر النساء والرجال وأغرتهم بالأموال للانتخاب وكسب الأصوات إنما يعارض الديمقراطية الحقة .

نعود لسؤال آخر : ما دام الإسلام لم يمنع المرأة من أن تكون ناخبة فهل منعها من أن تكون نائبة ؟ .

المرأة والنيابة في المجالس النيابية :

تنقسم النيابة عن الأمة إلى قسمين أو ينقسم عملها إلى عملين رئيسين هما :

1 ـ تشريع القوانين والأنظمة .

2 ـ مراقبة السلطة التنفيذية في تصرفاتها وأعمالها [1] .

ليس في الإسلام ما يمنع المرأة من أن تكون مشرعة وليس فيه ما يمنعها من التشريع لأن التشريع يحتاج إلى العلم مع معرفة ما يحتاجه المجتمع من الضرورات التي لابد منها . وبما أن الإسلام أعطى حق العلم للمرأة والرجل على السواء فإنه لايمنعها من أن تكون مشرعة ، فقد هيأ الإسلام فرصا راقية للتربية للنساء من انتهزتها منهن

(1) المرأة بين الفقه والقانون ، د . مصطفى السباعي ـ صفحة 156 .

فقد بلغت بها أعلى المراتب التي قدر للرجل بلوغها ، من أمثلتهن أم المؤيد (زينب) أستاذة المؤرخ الشهير ابن خلكان قال عنها إنها كانت عالمة وأدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم رواية وأجاز لها الحافظ أبو الحسن أن تروي علمه في الحديث والأخبار [1] .

ومن أساتذة أبي حيان المفسر النحوي الكبير (مؤنسة الأيوبية) أخت الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي و (شامية بنت الحافظ) و (زينب بنت عبد اللطيف) [2] .

وفي تاريخنا الكثير من العالمات في الحديث والفقه والأدب وغير ذلك .

أما مراقبة السلطة فقد قال الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (المرأة بين الفقه والقانون عندما تكلم عن حق المرأة في النيابة (إن مراقبة السلطة التنفيذية لا يخلو من أن يكون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر والمرأة والرجل في ذلك سواء في نظر الإسلام) يقول الله تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾[3] بهذا المفهوم نصل إلى نتيجة وهي أنه ليس في نصوص الإسلام الصريحة ما يسلب المرأة حقها أو أهليتها للعمل النيابي كتشريع ومراقبة .

ولكن لو نظرنا إلى مبادئ الإسلام التي تحول بين المرأة وبين استعمالها لهذا الحق وهو حق النيابة أي أن تكون نائبة فسنجد ما يلي :

1 ــ إن اختلاط المرأة بالرجال الأجانب عنها محرم في الإسلام ، والمرأة في المجالس النيابية ستختلط بالرجال وستقارعهم الحجة وستسمع من الكلام مالا يليق وستفقد كثيرا من احترامها لو أصبحت نائبة لا فرق بينها وبين الرجل

---

(1) و (2) أعلام النساء . عمر رضا كحالة ص 78 .

(3) سورة التوبة الآية 71 .

وإلا فكيف ستعرض المرأة برنامجها الانتخابي في مختلف المناطق وبين مختلف الطبقات وفي جميع الأوقات ؟

2 ـ سفر المرأة خارج بلدها ومن غير محرم يكون معها محرّم في الإسلام فكيف إن طُلب منها السفر في مهام نيابية لتبادل الزيارات مع بلدان أخرى ؟ هل سيترك زوجها عمله ليصاحبها ؟ هل سيترك ابنها دراسته ليصاحبها ؟ هل ستسافر وحدها مع رجال أغراب عنها محرمين عليها حديثهم يختلف وتصرفهم يختلف ؟ هل سترضى المرأة بأن تُغضب ربها في سبيل الشهرة الدنيوية ؟ وأسئلة أخرى كثيرة تطرح نفسها وتحتاج من المرأة إلى إجابات واضحة ومحددة .

3 ـ سفور المرأة محرم في الإسلام فإن اختلطت في المجالس النيابية بالرجل وهي سافرة فهذا حرام وإن لبست زيا إسلاميا واختلطت في المجالس النيابية مع الرجال فهذا حرام كذلك . وإلا فأين نحن من الآيات ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾[1] . كيف تحقق المرأة المسلمة مفهوم هذه الآية إذا ما دخلت المجلس النيابي وشاركت الرجال المكان والكلام ؟ فالإسلام لا يناقض نفسه أبدا وفي هذه الآية أكبر دليل على حرمه اشتغال المرأة بالسياسة .

4 ـ والأسرة رعايتها أوجب من العمل النيابي فكثيرا ما تُعطل النيابة في المجالس النيابية المرأة عن أن تتفرغ لرعاية أسرتها وحفظ بيتها ، فأمور الحكم والدولة ليست بالأمر الهين وليست بالعمل المحدد بوقت معين ترجع فيه المرأة لبيتها بعده لتكمل شئون حياتها بل كثيرا ما تمتد الجلسات إلى ساعات متأخرة جدا بعد الدوام الرسمي وكثيرا ما يضطر النواب إلى

---

(1) سورة النور الآية 31 .

تناول وجباتهم في المجلس النيابي فهل ستترك المرأة زوجها وأولادها يأكلون ما يأكلون يوما بعد يوم بمفردهم وهي تصرف أمور الأمة ، وكيف تخلص في تصريف أمور الأمة من تركت تصريف أمور بيتها وشئون أولادها وزوجها لامرأة أخرى غيرها جاهلة من بيئة مختلفة عن بيئتها .

إذن الإسلام لم ينفر من هذا العمل إلا لأنه أعلم بالمخاطر الكثيرة التي تحف به ومثل هذه المحرمات لا يجرؤ إنسان في قلبه ذرة من إيمان على أن يقول بإباحتها .

فكما أن المرأة لا يمنعها الإسلام من النيابة وقد تكون مؤهلة لذلك أكثر من كثير من الرجال إلا أنها وبحسب طبيعة الحياة النيابية ستقع في محرمات يمنعها الإسلام وهي في غنى عنها وقد قال الرسول ﷺ في حديثه الشريف : « دع ما يريبك إلى ما لايريبك » وما يريبنا في عمل المرأة في هذا المجال كثير ومضاره أكثر من نفعه ومن أبرز المضار التي نعود للتأكيد عليها لأهميتها إهمال البيت وإهمال شئون الأولاد وإدخال الخصومات الحزبية إلى البيت والأسرة .

ثم ماذا تفعل النائبة لو قُدر لها أن تحمل وتلد وما يصاحب الحمل من وحم ومرض وفترة ولادة تنقطع فيها النائبة عن العمل لفترة زمنية معينة هل تتعطل مصالح الدولة تبعا لذلك ؟ وهل تنتهي الدورة البرلمانية والمرأة في أجازة وضع أو حمل ؟

ما الذي تريد المرأة إثباته من دخولها المجالس النيابية ؟

هل هو تحد للرجل وتأكيد للمساواة بينها وبينه ، أم مطالبة بحقوقها ، أم إثبات لوجودها كما يدعي كثير من المناصرين لدخول المجالس النيابية ؟ لهؤلاء نقول :

إن كان تحديا للرجل فلن تصل إلى نتيجة من ذلك . فلو نظرنا إلى جميع المجالس النيابية في جميع أنحاء العالم لوجدنا عدد النساء لايزيد على أصابع اليد وهذا دليل كبير على أن المرأة لا تستطيع أن تتحدى الرجل لأن أصل العلاقة بين الرجل والمرأة ليست علاقة تحد وإنما علاقة تعاون ومشاركة . ولو نظرنا إلى واقع العمل السياسي

النسائي في جميع أنحاء العالم لوجدنا العجب العجاب .

الصين يوجد بها عام 1984 (500 مليون امرأة) ولا يضم المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني إلا امرأة واحدة هي (ونج يانج شو) من بين 23 رجلا وهذا منصب تكريمي لها لأنها زوجة رئيس الوزراء السابق (شوإن لاي) .

(هاو جن سكيو) العضوة المناوبة في سكرتارية الحزب الشيوعي ألقت خطابا بمناسبة يوم المرأة العالمي تؤكد فيه أن (التفكير الإقطاعي القائل بأن الرجال أفضل من النساء وأعلى مرتبة وأجدر ما زال هو التفكير السائد في الصين الشيوعية) [1]
نشرت صحيفة الغرب القطرية في 11 / 6 / 1980 أن الكونجرس الأمريكي ليس فيه إلا 17 امرأة وفي فرنسا 18 نائبة من أصل 491 وسويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت ورفضن الترشيح .

وإذا كانت العملية عملية تحد فالأمل ضعيف في ذلك لأنه حتى في المجتمعات التي فتحت الباب على مصراعيه لعمل المرأة دون حدود أو قيود لم تجد من النساء من يتقبل الفكرة ناهيك عن الرجال فكيف بمجتمعنا الإسلامي الذي ينفر ويحرم ذلك .

وإن كان للمطالبة بالحقوق فالإسلام قد قرر لها حقوقا لم يقررها أي تشريع سابق سماويا كان أو وضعيا ، حقوقا تحسدها عليها كل نساء العالم لو كان الإسلام يحكم العالم الإسلامي . عميدة إحدى الكليات في ولاية إنديانا الأمريكية تقول لطالباتها عندما ناقشن طالبا مسلما في حقوق المرأة واحتكمن إليها تقول (لقد تحصلت على أكبر مركز مرموق تتوق إليه المرأة بل الرجل في هذه الحياة لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي ، إن السعادة الحقيقية للمرأة بعدما درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي أعطاها

---

(1) العمل النسائي في الخليج الواقع والمرتجى ، د . عبد الله النفيسي صفحة 12 ، 13 .

للمرأة .. [1] وأشارت إلى الطالب المسلم . إذن حقوق المرأة محفوظة في الإسلام وما دامت تشريعا إلٰهيا فالرجل أحرص على تحقيقها وتثبيتها والمطالبة بها من المرأة لأنه يحقق أمرا إلٰهيا لا نقاش فيه ولا يحتاج إلى من يدافع عنه ، لأن المسلم يأتمر بأمر الله سبحانه وتعالى والله قال في محكم كتابه ﴿ **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** ﴾ [2] من حقوق وواجبات ، والرسول ﷺ يقول : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » كما قال تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ [3] ، كما قال الرسول ﷺ : (ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم) فأي حقوق فوق تلك تطالب بها المرأة فوق ما أعطاها الله العزيز الحكيم سبحانه وتعالى عما يشركون .

وإن كان إثباتا لوجودها وإنسانيتها فلهؤلاء نقول هل عدم مشاركتها في المجالس النيابية يجعلها لا كرامة لها ولا إنسانية ؟ أين إنسانيتها كأم ؟ وأين إثبات الوجود أكثر من أنها بدونها لا يكون نسل ولا مجتمعات ، خلقها الله من ضلع آدم وهذا دليل على أنها جزء منه والكل لايكون إلا من الجزء ، وهل الطبيبة والمدرسة والداعية والأم لا إنسانية لهن ولا وجود لأنهن لسن عضوات في المجالس النيابية ؟ وماذا نقول عن الجندي الذي يحرم عليه القانون الاشتغال بالسياسة ، هل فقد إنسانيته ووجوده ؟ هل أصبح هامشا في سجل التاريخ ؟

كلمات جوفاء ترددها نساء لغرض في أنفسهن فحب الشهرة يمتلك النساء كما يمتلك الرجال ، فبينما نرى المجتمعات الغربية بدأت تتراجع وبدأت أعداد النساء تقل في مجالسهم النيابية وبينما ظهرت الجمعيات المضادة في أمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا تدعو إلى العودة إلى البيت والقيام بالدور الحقيقي للمرأة وهي تنشئة وتربية الأجيال نرى المرأة المسلمة في مجتمعات العالم الثالث المتخلفة التي تعاني من الأمراض والأمية

---

(1) وظيفة المرأة المسلمة في المجتمع الإنساني – علي القاضي – صفحة 145 / 146 .

(2) سورة البقرة الآية 228 .

(3) سورة النساء – الآية 19 .

والجهل والفقر تطلب المشاركة في المجالس النيابية فكأنها حلت جميع مشاكلها و لم يبق لها إلا دخول المجالس النيابية والفوز بالحقائب الوزارية ، مدفوعة بذلك بكلمات رنانة من مثقفات معدودات على الأصابع انسلخن من مجتمعاتهن وابتعدن عن دينهن أو حتى عربيات ولكن لسن مسلمات وانجرفن مع تيارات الشرق والغرب من غير وعي ولا دراسة للمطالبة للمرأة بالحق السياسي لحل جميع مشكلاتها ، بينما المرأة في الغرب تعاني الأمرين من مساواتها بالرجل .

في فرنسا تعلن السيدة (رينيه ماري لو فاجيه) رئيسة الجمعية النسائية الفرنسية أنها تعارض حركات تحرير المرأة وتقول : (إن المطالبة بالمساواة الكاملة بين المرأة والرجل تصل بهما إلى مرحلة الضياع حيث لا يحصل أي من الطرفين على حقوقه) .

فاشتغال المرأة بالسياسة بعيدًا عن الأجواء الإسلامية لن يزيد المرأة احتراما ولن يزيد البلد تقدما أو تأخرًا فالبلد المتقدم متقدم بعلمه ومصانعه وجدية العاملين فيه وليس بأعداد النساء العاملات أو المتساويات مع الرجال ، وكذلك البلد المتأخر أو المتخلف فهو متخلف برجاله ونسائه متخلف بملاحقته للغرب وباستيراد قيم خارجية عليه وبتبعيته للغرب من غير انتقاء .

فمعارك الانتخابات النيابية ووظائف المعامل والمكاتب ومنافسة الرجال في المهن التجارية والصناعية الحرة والمشاركة في الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور مجالس اللهو العاصف والظهور على المسارح والاشتراك في الحفلات والسهرات العامة كلها استولت على مشاعر المرأة وشغلتها شغلا عن وظيفتها الطبيعية من قيام بتبعات حياتها الزوجية وتربية أطفالها وخدمة الأسرة والقيام بواجباتها .

فنحن نرى أن هناك مصلحة للأمة وللأفراد وللنساء على وجه الخصوص تقتضي أن تبقى أكثر النساء في البيت أو أن توفر لهن الدولة سبلا لبقائهن في المنزل حتى يقمن بأشرف عمل في الوجود هو تنشئة الجيل وتربيته جيل المستقبل الذي سيبني الوطن ويعمره . ونرى أنه بما أن الإسلام ينفر من اشتغال المرأة بالسياسة فيجب من قبيل الطاعة لله ورسوله ومن قبيل التمسك بمبادئ الإسلام وتشريعاته أن تكف

المرأة عن العمل بالسياسة إذ إن ذلك من قبيل المصلحة العامة التي تقتضيها سعادة الأمة ، ونعد تفرغها للأمومة أهم وأوجب من اشتغالها بالسياسة ، وإن حكم عليها أن تشتغل بالسياسة فلتحرص على أن تكون ناخبة واعية وليست مرشحة مندفعة .

مسألة للنقاش :

لعل قائلا يقول إذا كان العمل السياسي للمرأة المسلمة يحمل في طياته كل تلك المحاذير فماذا نقول في نساء نجحن في عصرنا الحاضر في العمل السياسي وقدن أممهن في المجالات الدولية من أمثال (مارجريت تاتشر – وأنديرا غاندي سابقا – وبي نظير بوتو – وكروازون أكينو) ؟ نقول لهؤلاء الآتي :

نستطيع أن نقسم تلك النسوة الأربع اللاتي اتخذناهن مثلا إلى قسمين ، نساء أتين من دول متحضرة لها باع طويل في العمل السياسي المتقدم من أمثال مارجريت تاتشر وأنديرا غاندي ونساء جئن من دول فقيرة متأخرة قضت العمر كله تابعة لغيرها من الأمم تعمل فيها المخابرات الأجنبية الخارجية ما تريد من أمثال بي نظير بوتو وكروازون أكينو . ولهؤلاء المتسائلين نقول بداية إن هؤلاء رئيسات وزراء ولكن لا يصدرن عن آرائهن الخاصة فوراءهن مجالس وحكومات تقرر وتشرع وما هن إلا منفذات ومتحدثات رسميات بأسماء وزاراتهن ولسن متحدثات بصفتهن الشخصية وهذا ينفي أنهن حاكمات برأيهن وبذكائهن .

ثانيا : مارجريت تاتشر امرأة من دولة متقدمة علمانية فصلت الدين عن الدولة فلا حدود دينية تردها عن العمل في هذا المجال ، وفي الوقت نفسه هي مقيدة من قبل مجلس العموم البريطاني ومقيدة من قبل حزب المحافظين الذي تمثله فهي مجرد

ناقلة لإرادة شعبها أو حزبها على وجه الخصوص أو متحدثة بلسانه وليست مشرعة ، ولقد نجحت في أداء دورها ولكن ذلك لا يعتبر دليلا على نجاح المرأة ، فالمملكة المتحدة منذ تولت تاتشر الحكم ولازالت تعاني من أزمات اقتصادية حادة وهي في تزايد مستمر مع مرور الأيام ، فلم يحّل وجود امرأة ذكية كرئيسة للوزراء من مشاكل بريطانيا الاقتصادية و لم تُدخل جديدا على سياسة العالم ، وهي تتأرجح بين الدولتين العظميين الولايات المتحدة وروسيا في سياساتها الخارجية ، ولولا وجود بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة لزادت مشاكلها وأطبقت عليها (البطالة في بريطانيا في تزايد مستمر) مما يؤدي إلى سقوط حكومتها . ونتائج الاستفتاءات الحديثة تبين مدى تزعزع حزب المحافظين أمام الأحزاب الأخرى في بريطانيا [1] .

أما كروازون أكينو فالكل يعلم عن مدى تدخل جهاز المخابرات المركزي الأمريكي في عملية إسقاط الديكتاتور ماركوس وإحضارها إلى الحكم تكريما لخدمات زوجها لأمريكا والذي أعطاه قتله من قبل ماركوس مظهرا بطوليا لا ينطلي إلا على شعوب العالم الثالث ، وهي لازالت تعاني من المعارضة في بلدها (تحدث انقلابات بين حين وآخر) .

بي نظير بوتو لا نريد أن نتحدث عن ظروف انتخابها للحكم ولكن يكفي أن نقول إنها في فترة حملها الأخيرة وأثناء ولادتها نصبت أمها نائبة لها ، أين رجال الدولة ونساؤها العاملون في المناصب القيادية ؟ وأين المثقفون أين بقية الوزراء ؟ أين نواب الرئيسة ؟ أين التصويت ؟ وأين رأي الشعب ؟ .

أما أنديرا غاندي فلو نظرنا إلى طبيعة الهند وعمق التراث فيها وما عمله شعبها للتحرر من الاستعمار وكونها ابنة سياسي عريق هو جواهر لال نهرو الذي شارك في النضال لتحرير الهند لو علمنا كل ذلك لرأينا ما للمرأة من خبرة في العمل

---

(1) جريدة الوطن الكويتية : 4 / 2 / 1990 / 8 / 2 / 1990

السياسي ، ولكن وبالرغم من ذلك هل حلت أنديرا غاندي مشاكل الهند المستعصية ؟ قد يقول قائل وكذلك لم يحلها الرجال ، ونقول إذا لم يستطع حلها الرجال الذين حباهم الله بصفات أقلها قوة التحمل فكيف تحلها المرأة مهما أوتيت من قوة ، وكلنا يعلم المصير الذي آل إليه أمر أنديرا غاندي .

هناك نساء كثر عملن في السياسة وشاركن فيها ولا نعتقد أنهن أضفن جديدا على ما قام به الرجال ، ولا نريد أن نقول إن في أيدي الرجال مفاتيح سحرية لحل مشاكل العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستفحلة ولكن نقول إن المرأة لن تضيف جديدا إذا ما اشتغلت بالسياسة ، وخصوصا في العالم الثالث المتأرجح بين الشرق والغرب ، فلو أردنا أن نتغلب على ضعفنا وتخلفنا فيجب علينا أن نربي نساء واعيات فاهمات مثقفات في مراكز عملهن الطبيعية أو في بيوتهن ، لنساهم في بناء الأوطان على أكمل وجه ، أما أن نترك البيوت تتهدم والأبناء يضيعون والأزواج يبحثون عن بدائل هنا وهناك ونخرج للبحث عن عمل ينافي طبيعتنا وتكويننا فهذا غير معقول ولا يستسيغه عقل واع مفكر .

هل المرأة سبب في انتشار البطالة ؟

سؤال يطرح نفسه ، هل خروج المرأة إلى العمل خارج بيتها يؤثر على القوى الاقتصادية العاملة وعلى الأجور وينشر البطالة في المجتمع ؟ لنقف قليلا نناقش الأمر لاشك أن خروج المرأة للعمل إذا كانت في حاجة له أمر مشروع وواجب ما دام فيه حفظ لنفسها وكرامتها ومن تعول إذا ما التزمت بالسمت الإسلامي كما ذكرنا آنفا ومما لاشك فيه أن كثيرا من النساء يملكن الذكاء وقوة الاحتمال والصبر مما يؤهلهن لأن يعملن في أرقى الوظائف وفي جميع الوظائف ، ومما لا شك فيه أن كثيرا من النساء يفقن كثير من الرجال في المجتمع في القدرة على القيام ببعض الأعمال .

ونحن هنا لا نناقش أهلية المرأة أو ذكاءها ولكننا نناقش مسألة أصبحت تبحث في المجتمعات الصناعية المتقدمة الراقية كأوروبا وأمريكا ، تقول محررة صفحة مع المرأة

في جريدة الأهرام المصرية (بدأ الرجال في أمريكا يخشون اكتساح المرأة لجميع ميادين العمل بشكل يهددهم بالبطالة ، ولوحظ أن نسبة العاملات ترتفع بشكل مخيف جدا في كل عام حتى تنبأ الأخصائيون باكتساح المرأة في خلال سنوات قليلة جدا [1] .

وفي انجلترا تتجدد الحملات دائما على المرأة العاملة فلقد تقدم بعض أعضاء مجلس العموم البريطاني باقتراع بإلغاء العلاوات التي تضاف إلى مرتبات المرأة المتزوجة مادامت تحصل عليها من مرتب زوجها وأكثر من هذا اقترحوا عدم قبول طلب المرأة المتزوجة للعمل إلا بعد الاكتفاء بالرجل أولا لأن توظيف النساء أدى إلى بطالة قسم كبير من الرجال [2] .

إن كان هذا دليلا على شيء فإنه دليل على أن المرأة أصبحت تنافس الرجل وتحل محله وتقصيه في كثير من الأحيان عن مكانه الطبيعي وتحتل مكانه ، ولا أدل على ذلك من انتشار البطالة في أوروبا وفي عالمنا العربي فكثيرا ما نجد في مجالات العمل المختلفة نساء قد أرهقهن التعب والهم النفسي لأن أزواجهن لا يجدون عملا فتحس المرأة أنها مضطرة لأن تنفق على البيت وعلى زوجها إن أمكن وهذا ما يسبب له ألما ويسبب لها ألما في الوقت نفسه فليس أحب للمرأة من أن تحتفظ بما تكسب لنفسها ، فلو قعدت النسوة اللاتي لا يحتجن للخروج إلى العمل لما حصل ذلك ، ثم إن أصحاب العمل يرغبون في تشغيل النساء لأن أجورهن أقل من أجور الرجال ولأنهن لا يبدين معارضة تذكر عندما تنتقص حقوقهن لإنشغالهن بأمور كثيرة بعد خروجهن من العمل كالبيت والأبناء مما يجعل لجوءهن للنقابات يكاد يكون معدوما عندما يقع عليهن الظلم ولذلك يرغب فيهن أصحاب العمل .

نصل إلى نتيجة وهي أن توظيف المرأة في جميع الوظائف أصبح يزاحم الرجال

---

(1) المرأة بين الفقه والقانون ـ د . مصطفى السباعي (بتصرف) .
(2) المرأة بين الفقه والقانون ـ للدكتور مصطفى السباعي (بتصرف) .

في ميادين عملهم فكم من رجال من ذوي الخبرة والشهادات قاعدون عن العمل لايجدونه ولا يرغب فيهم أصحاب الأعمال بينما تزدحم دوائر الحكومة والمؤسسات الحكومية منها والأهلية بالموظفات من النساء .

إذن هناك مصلحة عليا وعامة تقول إننا يجب أن نحد من مجالات عمل المرأة في كل مكان لأننا لا نشكو من قلة الرجال الأكفاء ولأننا لو تركنا الحبل على الغارب كما هو حاصل الآن فإننا نطرد الشباب من مكانه الطبيعي ونتركه في البيت أو الشارع ونقلب الأوضاع الطبيعية مما يؤدي إلى الفساد والفوضى وانتشار الجريمة إلى آخر ما يقوله علماء النفس والاجتماع والاقتصاد عن تأثير البطالة على الرجل .

نحن لا نريد أن نناقش إنتاجية المرأة فلربما كانت أو فاقت الرجل أحيانا في إنتاجيتها (هناك بيان لرئيس دائرة موظفي الدولة في مصر صدر في سنة 1965 يؤكد فيه أن المرأة في الوظيفة لاتكاد تؤدي نصف عمل الرجل) لا نريد أن نقف مع هذا الرأي المتطرف ونقف ضد المرأة في قدراتها ومواهبها التي حباها الله ولكننا سنعدد المفاسد التي تنشأ عن دخول المرأة في مجالات عمل لا توافق طبيعتها (نقطة توضيح – نحن مع عمل المرأة في المجالات الإنسانية كالتدريس والطب والدعوة) ولكننا سنعدد مفاسد انشغالها في المصانع وفي الأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي واختلاطها بالرجال وعملها ليلاً : أولى هذه المفاسد : اضطراب الحياة العائلية – وخلق المشاكل إما بسبب غياب الأم فترات طويلة عن المنزل أو بسبب المادة واشتراك الزوجين في الإنفاق مما يجعلهما يحاسبان بعضهما ماديا وكأنهما شركاء في شركة وليسا زوجين بينهما حب ومودة ورحمة ، وتبعا لذلك تزداد نسبة الطلاق ازديادا مريعا لا يخفى على عاقل يقرأ الصحف اليومية والإحصائيات التي تصدرها محاكم العدل .

مفسدة أخرى وهي تناقص عدد الأولاد والأطفال لأن المرأة العاملة لا تستطيع أن ترهق نفسها بالتربية والاهتمام بشئون البيت والعمل في آن واحد .

انتشار المشاكل الأخلاقية بين بعض الموظفات والموظفين في مجالات العمل فنظرة

واحدة إلى صفحات مشاكل القراء في الصحف العربية والأجنبية تبين لنا حجم المشكلة فكلها تدور حول موظف أحب زميلته ويريد أن يطلق زوجته أو طلقها فعلا ليتزوج زميلته وموظفة حائرة بين زوجها الذي لا غبار عليه بشهادتها وزميلها ذو الكلام المعسول الذي يجذبها إليه بحلو حديثه ، وهلم جرا ، والسكرتيرة التي تقول عنها الصحف إنها الزوجة الثانية مع وقف التنفيذ فلربما تكون أقرب من الزوجة الأصلية إلى قلب الزوج لأنه يراها في أحسن حالاتها .

والمشاكل الأخلاقية ليست قصرا على الموظفة ولكن الأبناء يعانون من غياب الأم والرقابة الأسرية فالابن أو الابنة يختلطون بأصدقاء السوء والأم لا وقت لها لملاحظة ذلك فتفاجأ بأن ابنها مدمن خمر أو مخدرات أو سارق أو مرتكب لأي جريمة فتعزي نفسها بأنها ترهق نفسها في العمل لتوفير الحياة الكريمة للأبناء ، ألم يكن حريا بها إن لم تكن محتاجة للعمل أن توفر لهم الحياة الكريمة بالقرب منهم ونصحهم وإسباغ الحنان عليهم وإشباع رغباتهم العاطفية قبل رغباتهم المادية ؟ وإلا ما فائدة توفير السيارة والتليفزيون والفيديو للأبناء بينما لا تشاركهم الأم فيه المتعة ؟ بالطبع سيبحثون عمن يشاركهم ما يملكون وغالبا ما يكون أصدقاء السوء الذين يجرفونهم إلى تيار الجريمة ، ويأتي الندم متأخرا حين يقع الفأس بالرأس ، وتدمر حياة الشباب . والأمهات ذاهبات راجعات إلى أعمالهن ، وتمر الأيام ويكبر الأبناء ولم تتمتع بهم ولم يتمتعوا بها وعندما يكبرون ويتزوجون وتكبر الأم وتقعد عن العمل تطالبهم بأن يعطفوا عليها ويصلونها فلا تجد ملبيا لأنهم لم يتعرفوا على وجودها صغارا حتى يصلوها كبارا فتشكوا الزمان وقسوة الأبناء فيه ولا تدري أن هذا من صنع يديها وأنها السبب الأول في ذلك .

مفسدة أخرى هي فساد أخلاق المرأة فمتى تعودت المرأة وجودها بين الرجال ليلا ونهارا زال الحياء عنها قليلا قليلا وتبسط الرجال معها في الحديث إلى أن يصبح الحديث حديث رجل لرجل وليس رجل لامرأة وما يؤدي ذلك إلى انجراف غير محسوس في البداية إلى الانحلال وفساد الأخلاق ، كما أن خروجها للعمل ليلا يجعلها فريسة سهلة لمرضى النفوس والمنحرفين والعاطلين عن العمل المنتشرين في أنحاء البلاد

مما يعرضها للاعتداءات الجنسية التي أصبحت سمة العصر (حتى الجامعات ومعاهد العلم لم تنج من ذلك) فالإعلانات كلها تنصح الطالبات بعدم الخروج ليلا بمفردهن وتحاشي الأماكن المظلمة والمنعزلة .

كما أن بريطانيا في عام 1989 سيرت باصات خاصة للنساء ليلا بعد أن زاد تعرض النساء العاملات للاعتداءات الخلقية والجرائم الأخلاقية .

فمن الذي وضع النار على الفتيل غير خروج المرأة للعمل وعودتها بملابسها المسترجلة أو الفاضحة ليلا في مناطق معزولة مما جعل ذوي النفوس المريضة التي لاتجد عملا ولا تستطيع زواجا على أن تشبع رغباتها بتلك الطريقة الحيوانية المنكرة وكثيرا ما تتعرض النساء للقتل بعد الاعتداء عليهن ولقد كان الأمر هذا قصرا على المجتمعات الغربية ولكنه انتقل إلى مجتمعاتنا المسلمة تدل على ذلك الحوادث الكثيرة التي نقرأها على صفحات الجرائد والصحف كل يوم .

ومفسدة أخرى ستظهر نتائجها مستقبلا على المجتمعات شرقها وغربها وهي كثرة الأبناء غير الشرعيين الذين يأتون من علاقات محرمة نتيجة الاختلاط ثم يتخلى الرجل بعدها عن المرأة أو الفتاة عندما يشبع رغبته منها وغالبا ما يعود لزوجته وأولاده إن كان متزوجا ويترك المسكينة التي خدعت بدعوات التحرر مع طفل غير شرعي تعاني من قربه طيلة حياتها .

في المجتمعات الغربية المرأة لا تستحي من أن تحتفظ بطلفها أما الشرقية فغالبا ما يلقى الطفل عند أبواب مؤسسات الايتام ولنا أن نتصور حجم المأساة التي تعانيها الأمهات اللواتي يحملن سفاحا ويتخلى عنهن شركاؤهن في الجرم .

في لقاء تليفزيوني قالت رئيسة الوزراء البريطانية (مارجريت تاتشر) إن اللحظة قد حانت لكي تتدخل فيها الحكومة لحفظ حقوق الأطفال الذين يولدون نتيجة لعلاقة غير شرعية بين رجل وامرأة وقالت بأن على الحكومة أن تتخذ من الإجراءات ما يجبر هؤلاء الآباء على تحمل نصيبهم من المسئولية .

وتذكر الإحصائيات بأنه ما بين عام 1979 و 1987 تضاعف عدد الرجال والنساء المرتبطين بعلاقات غير شرعية ثلاثة أضعاف ، وأن محصلة تلك الارتباطات أو العلاقات غير الشرعية هي أربعمائة ألف طفل غير شرعي مما دفع رئيسة الوزراء إلى التصريح بأن الأوضاع المؤسفة ما هي إلا امتداد للظواهر الاجتماعية الشاذة التي بدأت في الستينيات مطالبة بإطلاق الحريات الجنسية وانتشار الإباحية الذي أدى بدوره إلى حرمان هؤلاء الأطفال من الحياة الطبيعية (1) .

لاشك أن حديث رئيسة الوزراء يعكس اتجاها قويا في مجتمعها إلى العودة إلى الأخلاق والقيم واحترام رابطة الزواج المقدسة التي تهدف إلى بناء الأسرة السليمة ، ولن يتأتى ذلك والاختلاط موجود ومزاحمة المرأة للرجل في جميع الأعمال موجود .

إذن هذا وضع شاذ أفرزه التحرر الزائد واستقلالية المرأة الزائدة وخروجها للعمل غير المناسب وفي الأوقات غير المناسبة وتشبثها بالعمل مما أدى إلى الانحراف وازدياد عدد الأبناء غير الشرعيين الذين سيمثلون عبأ على الدولة لأنها ستوفر لهم المكان والإخصائيين النفسيين والاجتماعيين الذين سيعالجون مشاكلهم المستقبلية لعدم معرفتهم لآبائهم عدا انحرافهم الفطري في أكثر الأحيان إلا من رحم ربي منهم .

فلماذ نبدأ من حيث انتهى الغرب لماذا لا نحاول الحد من المشاكل قبل استفحالها وأخيرا وليس آخرا هناك أخطار تتعرض لها صحة المرأة سببها الوقوف الطويل والجلوس غير المريح أو وضع الانحناء أو حمل أو رفع الأوزان الثقيلة ، فالإخصائيون الاجتماعيون وأطباء العمل يعقدون مقارنة بين الطاقة والقدرة على العمل والقابلية له تختلف بين الرجل والمرأة مما يتطلب الانتباه ، عند تقسيم العمل بينهما وتقسيم مكانه خصوصا فيما يتعلق بوضع الآله ، وهناك عدا ذلك تأثيرات ضارة غير مباشرة من الصعب إدراكها كما أن هناك عاملا متعبا آخر ذو ثلاثة جوانب وهو المهنة – وتدبير المنزل – والأسرة (سنتحدث عن ذلك لاحقا) مما يجعل المرأة يتنازعها ثلاثة عوامل تمزق

---

(1) مجلة (المجتمع) الكويتية العدد 953 صفحة 56 ، السنة العشرون 1990 .

صحتها تمزيقا صحيا ونفسيا .

لكل هذه المضار والكثير غيرها نرى أن المرأة يجب أن تحسن اختيار الوظيفة التي تعمل بها وتلتزم بما حدده لها الشرع من وظائف وأن تفسح المجال للرجل فهو ليس إلا زوج وأب وأخ وابن يهمها أمره إن كانت تسعى لسعادة المجتمع الإنساني .

آن الآوان لتقيم عمل المرأة :

البيت ذلك الواحة التي يلجأ إليها الإنسان فيجد فيه الراحة والأمان والاطمئنان البيت الذي قال المثل عنه إنه قلعة الرجل والقلعة تعني الحصن الذي يحمي المحارب من الأعداء ، فيه الدفء والراحة والنظافة والهدوء النقي فمن المدبر والمدير لهذه القلعة ؟ لاشك إنها الأم بصبرها ودأبها وقوتها وعلمها تحاول أن تجعله نظيفا ليختلف عن مكان العمل والشارع التي تجعله دافئا وغيره من الأماكن بارد ، يجد فيه الإنسان الوجبة الصحية الدافئة النظيفة ، ويجد في الفراش المريح ، هذا المكان الذي ما أن ينتهي الإنسان من عمله إلا وقادته قدماه إليه ، بل ينظر إلى الساعة قبل أن ينتهي من العمل ليرجع إلى بيته يقضي ساعات عمله الأخيرة مفكرا متى يصل إليه فيتحلل من ملابسه التي يلبسها منذ الصباح ويجلس فيه بالمريح من الثياب ، متى يصل ليستخدم حماما نظيفا يثق في نظافته ولا يخاف من العدوى منه ، يفكر في الوجبة يأكلها وبالفراش ينام عليه قليلا وبالمقعد المفضل لديه يجلس عليه وفي يده جريدته ، هذه وغيرها أفكارا بسيطة وجميلة ومن حق كل شخص أن يفكر فيها كائنا من كان رجلا أو امرأة .

ولكن الرجل عندما يعود إلى البيت ينتهي يوم عمله أو الساعات المفروض أن يعمل بها وتعود المرأة إلى البيت متعبة منهكة ولكن تفكيرها ليس ورديا كالزوج والأبناء بل هي تفكر في بداية يوم عملي آخر ولكن في البيت تفكر فيما ستطبخ لهم من طعام وتفكر في الأطفال وحديثهم غير المنقطع وهي يكاد رأسها ينفجر من صداع العمل طوال الصباح تفكر فيما هو موجود وما هو غير موجود من حاجات المنزل

الضرورية ومتى ستذهب لإتمامها وإحضارها ، والأبناء يريدون من يساعدهم في دروسهم ، والزوج يريد من يتحدث معه ، وتبدأ الدوامة المروعة الرهيبة بعد عمل يوم شاق وينشأ الصراع النفسي بين العمل والقعود عنه لدى المرأة ولاتجد من يعينها على مشاكلها ، لأن المنزل والأبناء هم صلب عملها شيء تعارف عليه الناس منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا مهما بلغت حضارة الشعوب وتقدمها ، المرأة هي مدبرة ومديرة المنزل والرجل هو المسئول عن جلب المال لتصريف أمور هذا المنزل وإن اختارت المرأة أن تخرج إلى العمل لتزيد من مدخول بيتها وتحصل على كماليات أكثر مما يوفرها لها معاش زوجها فهذا بمحض اختيارها فليس لها أن تتأفف أو تشكو التعب لأنها هي التي سعت وهي التي اختارت ذلك ولو أن حسن الخلق يدعو الرجل إلى أن يمد يد العون لزوجته في تصريف أمور البيت لأن المسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة في البيت ولا مانع من أن يساعد الزوج زوجته في بعض الأمور التي تريحها وتدخل السعادة على قلبها أو تشعرها بأن الزوج يحس معها ويشاركها ، فلقد كان الرسول ﷺ هو خير قدوة للمسلمين يرفو ثوبه ويخيط شراك نعله ويساعد زوجاته ، والتاريخ يخبرنا عن علي كرم الله وجهه وكيف كان يساعد السيدة فاطمة زوجته حتى أضناها التعب فما الذي يمنع الزوج من مساعدة زوجته شريكته في الحياة ؟

ولكن عندما نتحدث عن المرأة ربة البيت التي لا تعمل عملا رسميا في حكومة أو شركة أو مؤسسة فهل يعني هذا أنها لا تعمل أو أنها نصف المجتمع المعطل كما يحلو للبعض أن يسميه أو أنها كقطعة الأثاث كما نسمع في التمثيليات والأفلام ، لقد صنف الغرب ودعاة التحرر المرأة إلى صنفين أو قسموا النساء إلى قسمين وسموا التي تعمل المرأة العاملة وربة البيت سموها غير العاملة وبذلك أوحوا للناس بأن ربة البيت قاعدة عن العمل أي لا تعمل وألغوا العمل المنزلي إلغاء وشعرت ربة البيت بالنقص قبالة زميلتها العاملة فالعاملة تساهم في بناء الحضارة والمجد والتقدم والرقي ، وهي قابعة في البيت تربي الأبناء وتهيىء جو المنزل لهم وللزوج ، فهي إذن تعيش على هامش الحياة نكرة لا دور لها في بناء الحضارة ولا تساهم في فعاليات المجتمع الكثيرة ، مما جعل المرأة العاملة مع ما تعانيه من تعب ونصب تشعر بالفخر تجاه

زميلتها ربة البيت (وإن كانت في قرارة نفسها تتمنى القعود في البيت عن العمل إلا أنها لا تعترف بذلك لأن التيار أقوى من أن تقف ضده) وأصبحت ربة البيت تتطلع إلى الخروج إلى العمل حتى يطلق عليها لقب المرأة العاملة صانعة الحضارة مما جعل كثيرا من النساء يخرجن للعمل وهن غير محتاجات له ومما جعل بعضهن يقبلن على بعض الأعمال مهما كانت بسيطة وإلا فما حاجة امرأة غير محتاجة للعمل كسكرتيرة في مؤسسة أو أمينة مخزن في مدرسة إلا عملية الخروج كغيرها من النساء العاملات صباحا والعودة ظهرا والشكوى المستمرة من الإرهاق والتعب ، مع العلم بأن هذا النوع من النساء يشكلن بطالة مقنعة في الدولة ويشكلن عبأ على الحضارة وليس صناعة لها لأنهن كثيرات التغيب والاستئذان من العمل مستهترات بأعمالهن في كثير من الأحيان .

إذن العمل خارج البيت أصبح السلاح والمدخل الذي يدخل من خلاله دعاة التحرر إلى قلب المرأة وأدخلن في قلوب وعقول النساء أن العمل يذهب الملل عن الحياة ويعيد إلى المرأة شبابها وحيويتها بدلا من أن تذبل في المنزل بين الزوج والأولاد الذين لا يرحمون ولا يقدرون لها تعبها من أجلهم وأصبح في العمل شفاء من كل الأمراض التي تعاني منها المرأة ربة البيت وأصبحت مقولة إن العمل يحرر المرأة سائدة في أوساط النساء ومستغليها من الرجال ولو وجد هؤلاء من يرد عليهم لما تمادوا في هذه الدعوة فالمرأة في الريف تعمل منذ الصباح الباكر إلى المساء إذن هي متحررة أكثر من بنات المدينة فلماذا لم ينظر إليها نظرة الاحترام التي تنالها المرأة العاملة حتى لو كانت مطربة أو راقصة ؟

هذه النظرة القاصرة التي أصبحت تعاني منها المرأة المعاصرة في عالم اليوم وهي نظرتها إلى جهدها ومكانتها في بناء الأسرة الذي يعتبر لا شيء وأنها لا تكون عاملة أو متقدمة أو معاصرة إلا إذا أخذت مكانها وطريقها إلى المصنع أوالبنك أو الوزارة .

حتى أن المرأة وضعت في بعض الأحيان في حيز ضيق هو حيز الاختيار بين الوظيفة والبيت والزوج والأولاد ووقعت في صراع بين رغبتها في إسعاد زوجها

وأولادها وحفظ بيتها وبين أن تكون ناجحة في عملها ووظيفتها .

ولو سألنا المرأة هل حقق لك الطريق الذي سلكته من تحررك وخروجك من المنزل وعملك في شتى المجالات والوظائف هل حقق لك ذلك السعاده ؟ لوجدنا إجابات كثيرة تعكس التعاسة التي تعيشها المرأة العاملة (سبب واحد يكفي لتعاستها وهو أنها منذ الصباح الباكر وبداية يومها العملي هي في تفكير وهمي في كيفية إنجاز أعمالها في البيت مما يجلب لها الإرهاق النفسي منذ بداية يومها فلا تأتي نهاية اليوم إلا وأعصابها قد تعرضت للضغط الرهيب الذي يؤدي إلى الشقاق والشجار فيما بعد . أريد من وراء ذلك أن أصل إلى نتيجة وهي أن للمرأة عملين أحدهما خارج المنزل والآخر داخله ولو قومنا عمل المرأة في البيت اقتصاديا لوجدنا أنها تحتاج أو تستأهل أجرا يفوق ما يقدمه لها الرجل من إنفاق عليها .

فالمرأة في البيت تبني اقتصاد البلد وتشارك في البناء الاقتصادي للدولة بما توفره من راحة للزوج تجعله أكثر إنتاجا وبما تربي من أبناء صالحين للوطن قادرين على العيش السوي في هذا المجتمع المليء بالمفاسد .

تقول باحثة أمريكية إن اشتغال المرأة بالأعمال الحرة تاركة بيتها وأبناءها لتساعد زوجها على رفع مستوى المعيشة قد رفع مستوى المعيشة وهدم مستوى التربية والخلق في المجتمع ، إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم المرأة الأم لبيتها وإشرافها على تربية أولادها فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل السابق إنما مرجعه إلى أن المرأة هجرت البيت وأهملت تربية الطفل وتركته إلى من لا يحسن تربيته) [1] .

إذن المرأة في البيت تصنع للطفل رجولته وخلقه العملي الناجح فمن يمنحه ذلك إذا تركت هي تربيته لمدرسات الحضانة ؟ أو للمربيات الأجنبيات ؟ ، كما أنها مصدر

---

(1) المرأة ومكانتها في الإسلام صفحة 91 أحمد عبد العزيز لحصين .

روحي في بيتها يتمثل فيها خلق الرحمة والمودة على زوجها وأولادها كما ورد في القرآن الكريم ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [1] فمن للزوج والأولاد إذا خرجت الأم أول النهار وعادت آخره مثلها مثل الرجل مهدودة القوى ضائقة النفس بما لقيت من تعب وعناء في يومها .

لقد آن الآوان لتقييم عمل ربة البيت كما يجب فهن في حاجة إلى نوع خاص من التقدير والإنصاف ، ولهن الحق في أن يعتبرن نساء عاملات وتشرع لهن القوانين التي تصون كرامتهن وتحفظ معنوياتهن ومساعدتهن على مغالبة مغريات العمل خارج المنزل وما يؤدي إليه من ابتعاد عن الزوج والأطفال جسديا ونفسيا .

وأعتقد أن ذلك يقع على عاتق الدولة بأجهزتها الإعلامية في تعديل وجهة النظر هذه وطرح وجهة النظر الإسلامية على الساحة .

كما أن على الدعاة واجب نشر هذا الأمر بين الفتيات المسلمات وتبصيرهن بأهمية بناء الأسرة بناء سليمًا تأخذ فيه الأم مكانها الطبيعي والزوج مكانه ، ولا يقتصر التبصير على النساء فقط بل يجب تبصير الرجل المسلم بدوره حيال زوجته ، فنحن لسنا كالغرب لقد خلقنا الله لنخلفه في الأرض ، فما دمنا خلفاء فيها فلنعمل على أن نستحق هذا المنصب الرفيع الذي قلدنا إياه الله سبحانه وتعالى ولننظر إلى ما حل بالغرب وبالمجتمعات العالمية التي تدعي التحضر وما آل إليه أمرها من انحدار وتفسخ وفوضى عارمة حتى نتعظ ونعود إلى بيوتنا نحميها من التيارات التي تعصف بها ، ولنسمع ما تقوله الكاتبة الفرنسية (مريم هاري) في كتابها (الأحاريم الأخيرة) فقد خاطبت النساء المسلمات بقولها « يا أخواتي العزيزات ، لا تحسدننا نحن الأوروبيات ولا تقتدين بنا ، إنكن لا تعرفن بأي ثمن من عبوديتنا اشترينا حريتنا المزعومة ، إني لا أقول لكن إلى الحرم إلى الحرم ولكن إلى البيت إلى البيت ، كن

(1) سورة الرم الآية 21 .

حلائل وأبقين أمهات كن نساء قبل كل شيء قد أعطاكن الله كثيرا من مواهب اللطف الأنثوي فلا ترغبن في منازعة الرجال ، ولا تجهدن في مسابقتهن ولترض الزوجة بالتأخر عن زوجها وهي سيدته ، ذلك خير من أن تساويه وأن يكرهها [1] .

وصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال في الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » [2] .

حقا ان الزوجة بصفة الزوجية مسئولة عن بيت زوجها وماله وبصفة الأمومة مسئولة عن أطفالها بحيث ينبغي أن تقوم في تأدية مسئوليتها خير قيام ، يعلق على هذا الحديث أبو الأعلى المودودي في كتابه (الحجاب) بقوله وقد جعلت المرأة في التنظيم الاجتماعي ربة البيت ، ذلك اختيار الشارع لها ، وإذا كان على زوجها كسب الأموال فعليها إنفاق تلك الأموال لتدبير شئون المنزل [3] .

هل تترك المرأة العمل :

لقد قسمنا العمل سابقا إلى قسمين عمل موافق لطبيعة المرأة وعمل لا يوافق طبيعتها ، كما قسمنا النساء إلى قسمين قسم في حاجة للعمل وقسم يعمل وهو غير محتاج مجرد إكمال للصورة الاجتماعية التي تحب بعض النساء أن يظهرن بها ، فإذا نظرنا إلى المرأة المحتاجة فإن الشرع لا يمنعها من العمل ولكن لها الحدود والشروط التي يجب أن تتبعها حتى يحق لها الخروج للعمل كأن تعمل بالأعمال التي يرضى

---

(1) المرأة وحقوقها في الإسلام ، أبو النصر مبشر الطرزي ص 223 .
(2) منهاج الصالحين / عز الدين بليق صفحة 459 .
(3) المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر ، د . عبد الله شحاته 199 .

عنها الشرع ولا تعرضها لمخالطة الرجال وأن تلتزم بالسمت الإسلامي .

وقد كانت النساء في عهد الرسول ﷺ يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيوتهن وفي خارجها وأكبر مثل لذلك أسماء بنت أبي بكر فقد كانت تقوم بكثير من الأعمال اللازمة لزوجها وأسرتها في داخل بيتها وخارجه وفي ذلك تقول هي عن نفسها « كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحتش له ، وكنت أخرز الدلو وأسقي الماء ، وأحمل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ » [1] .

وقد حكى في القرآن أن زوجة موسى كانت ترعى الغنم مع أختها قبل زواجها ﴿ **قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير** ﴾ [2] .

فعمل المرأة في حد ذاته مباح حسب الحاجة سواء كان داخل البيت أو خارجه والذي يحوله إلى مكروه أو ممنوع هو ما يخالطه من ملابسات تجعله غير مشروع .

أما المرأة غير المحتاجة فلا يترتب على خروجها للعمل إلا تعطيل الرجل عن بعض الأعمال التي يحتاجها واحتلالها محله من غير وجه وحق ، كما أن ذلك سيترتب عليه خلل وقصور في مهمتها الأصلية كأم ومدبرة لشئون الأسرة والبيت .

والأمر في ذلك يقع على عاتق الدولة ووسائل الإعلام كما قلنا سابقا بوضع خطة إعلامية هادفة توضح للمرأة اخطار العمل خارج المنزل وتبصيرها بعواقب ذلك على الأسرة والحياة الأسرية . وفي حال احتياج المرأة وخروجها للعمل يجب عليها الا تختار إلا العمل المشروع الذي يجوزه الشرع وأن يكون مناسبا لطبيعتها وداخلا في حدود إمكانياتها ، في ثياب ساترة ملتزمة الحياء والأدب .

إذن نحن لا نقول بترك المرأة للعمل ولكن نضع الضوابط والحدود الشرعية له بحيث تستفيد منه المرأة المحتاجة وفي نفس الوقت تترك غير المحتاجة للعمل مكانها

---

(1) المرجع السابق نفسه ، صفحه 203 لرقم 3 في الصفحة السابقة .
(2) سورة القصص الآية 23.

لغيرها من الرجال حتى لا تضيق السبل عليهم يقول الأستاذ عباس محمود العقاد « إن المجتمع الأمثل ليس هو المجتمع الذي تضطر فيه المرأة إلى الكدح لقوتها وقوت أطفالها »[1] إذن في نظره أن المجتمع الأمثل هو الذي يوفر للمرأة كرامتها ويوفر لها قوتها وقوت أطفالها ، وهذا في نظري نعم الرأي .

بعد عرض وجهة النظر هذه لربما يسأل سائل هل المقصود أن تترك النساء أعمالهن ويعدن إلى البيت ؟ وماذا تعمل المرأة وقد توفرت لها كل أسباب الراحة مما يجعل لديها وقت فراغ كبيرا تحتار كيف تشغله ، وكأننا بدعوة النساء إلى ترك العلوم والأعمال غير النافعة نقف ضد تيار المدنية والحضارة ، فالدعوة إلى خروج المرأة للعمل والتحرر لا زالت تتسع وتكبر وتجد لها كثيرا من الأنصار والمؤيدين ولها مبررات وقناعات كثيرة وتؤيدها جميع الأوساط بحماسة طاغية ، إذا من يقف ضد هذا التيار سيتهم بالتخلف والرجعية ولكنها كلمة حق لابد أن تقال وهو أن خروج المرأة إلى العمل كما هو موجود وبالصورة الحاضرة ليس رفعا وتكريما لها وإنما هو امتهان لكرامتها ووقوف ضد حصانتها التي حصنها بها الإسلام . نحن لا نريد أما أو امرأة جاهلة نحن نريد أو نحتاج إلى المرأة المتعلمة الواعية الواقفة بجانب زوجها الراعية بوعي لأطفالها ولكننا ضد التي تترك أمومتها لغيرها وتخرج للعمل بدعوى التحرر والمساواة والمطالبة بالحقوق .

ولم نقل إن على المرأة أن تترك الميدان كلية ولكن هناك حقولا كثيرة نافعة تستطيع المرأة أن تغشاها أولها حقل التعليم الذي يحتاج إلى جهود النساء المكثفة والتي سجلت فيه المرأة تفوقا ملحوظا ، فنحن لا نريد أن نهدر طاقات المرأة ولكن نريد أن نحفظها ونستفيد منها .

ومن كان لديها فضل وقت أو وقت فراغ كما يحلو للبعض أن يسميه فلتشغل نفسها بالدعوة أو لتعمل في بيتها وتستغنى عن الخدم ، ومن تعمل في رعاية بيتها

---

(1) المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر د / عبد الله شحاته 192 .

وأسرتها لن تجد لها وقت فراغ لأن بناء الأسرة والعمل في المنزل ليس بالعمل السهل الذي يترك وقتا للفراغ ، وإن أصبح لديها وقت فراغ فهي امرأة محظوظه فالعالم مليء بالكتب والصحف والمجلات التي تحوي الكثير من المعارف والعلوم التي يجب أن تطلع عليها المرأة المسلمة وتثقف نفسها عن طريقها وتقف من خلالها على ما يجري ويدور ويحدث في عالم اليوم المتطور . ومن كان العلم النافع والعمل النافع همها فلن تجد لها وقتا يسمى وقت فراغ . وأين هي من عبادتها ؟ فربة البيت لديها من الوقت الكثير تستغله للعبادة مالا يتوفر للمرأة العاملة ، ففي جميع الأحوال والأحيان هي أحسن حظا وأوفر من المرأة العاملة فلماذا ترمي نفسها إلى بحر لا قرار له ولا يورث إلا الوصب والنصب والأمراض البدنية والنفسية ؟ هناك سؤال آخر يطرح نفسه : هناك نساء كبر أبناؤهن ونساء غير متزوجات ونساء متزوجات ولكن لا أبناء لهن هل يقعدن عن العمل إن فهمن الهدف من الدعوة إلى العودة إلى البيت ؟ لهؤلاء نقول إن أولئك النسوة لهن الخيار بين الوظيفة كما نراها من منطلق إسلامي وبين القعود في البيت وتوجيه نشاطهن للعمل في الأعمال الخيرية التي أصبحت المجتمعات في حاجة ماسة إليها كالدعوة للإسلام والعمل في اللجان الخيرية الإسلامية ورعاية الأسر المحتاجة والعمل مع المعوقين وجمعيات رعاية الأحداث والأيتام ، والمجتمعات الحديثة لا تخلو من محتاج للمساعدة والخيار لها أولا وأخيرا .

وما أحوج كبار السن من الآباء أو الأمهات إلى وجود ابنتهم إلى جانبهم خلال النهار ترعاهم وتشرف عليهم وتؤنس وحدتهم ووحشة الكبر لديهم وأجرها عند الله كبير لا يخفي على قارئ للكتاب والسنة .

فلقد أصبحنا نجد التذمر من الكبار منتشرا في مجتمعاتنا المسلمة وأصبحت النفوس ضائقة من الكبار وفي هذا ابتعاد عن روح الإسلام وروح الإنسانية نحو هؤلاء الذين أفنوا زهرة شبابهم في رعايتنا وتوفير الحياة الكريمة لنا ثم يكون ردنا لجميلهم بتركهم وقت حاجتهم إلينا متعللين بالأعمال والوظائف ولو علمنا كم من الأجر سنحصل من وراء رعايتهم لهان أجر الوظيفة وأجر الدنيا كله في سبيل أجر الآخرة .

وإن كنا في ذلك كله نؤكد على أن المرأة لا يجب أن تعمل إلا في العمل النافع الموافق لطبيعتها والذي لا يخرج بها عن سمتها الإسلامي والذي لا يمتهن كرامتها كامرأة ولا يعرضها للإرهاق العضلي والنفسي فهي قبل العمل الوظيفي مسئولة عن أسرة يجب أن تحفظ نفسها لهم ، فكل ما يصيبها من تعب وإرهاق وأمراض ينعكس على حياة أسرتها ، فإما حياة هانئة لها ولهم وإما تعاسة مستمرة وأسرة مفككة وزوج هارب وأبناء ضائعون فللمرأة أن تختار ولا أعتقد أن الاختيار مصيري أو صعب ولكنه مفاضلة بين بشر وبين وظيفة قد تستغنى عنها إن كان لها معيل ، فهل تترك بناء البشر لتبني اقتصاد الوطن ؟ وكيف يبني اقتصاد وطن على أنقاض البشر أو على الأصح كيف يبني بشر محطم يعاني نفسيا من الألم والضياع اقتصاد وطن حر مسلم .

والمسلمة كيسة فطنة عليها أن تعرف الهدف من رسالتها في هذه الحياة وتقوم بها وإلا لن نستطيع بناء المجتمع المسلم الذي نطمح لبنائه .

تشريعات خاصة :

ما دمنا قد قلنا إن هناك نساء محتاجات للعمل ومضطرات للخروج له وإن هناك نساء لا أبناء لهن أو كبر ابناؤهن وحياة العصر تفرض عليهن الخروج للعمل وما دام خروج المرأة للعمل أصبح أمرا واقعا يفرض نفسه علينا وأن لا عودة للبيت من كثير من النساء ، فإن كانت الملتزمة بالإسلام ستجلس في بيتها وتستقر وتستجيب لدعوتنا فما أكثر غير الملتزمات اللاتي يرين في الخروج للعمل تحضرا ووجودا للذات واللاتي لن يستجبن لدعوتنا ، وستظل هذه الدعوة بين مؤيدة لها ومنكرة إنكارا تاما ومحاربة لها وبين مترددة بين الشرع والحاجة أو الشرع ومتطلبات العصر المتطور كما يحلو للبعض أن يسمى عصرنا .

فماذا نعمل لحفظ النساء العاملات في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة ؟ لابد من إلقاء هذا العبء على عاتق عدة جهات :

أولاهـــــا : رسمية حكومية .

ثـــــانيها : أهلية (ممثلة في جمعيات النفع العام) .

ثالثهـــــا : دينية يمثلها الدعاة بصفتهم الشخصية والجهات الرسمية الدينية في الدولة (كوزارات الأوقاف والشئون والعمل) .

ولكن كيف نبدأ العمل ؟ كل فكرة جديدة وكل دعوة تحتاج في البداية أو قبل البدء بها إلى التوعية والإعلان عنها والتعريف بها ، ونحن نقصد بالدعوة الجديدة أن ننادي بقعود المرأة بالبيت ، ولكن سندعو إلى وضع تشريعات خاصة تحفظ للمرأة العاملة إسلامها وكرامتها وتبعدها عن مهاوي الفتنة والانزلاق والاستغلال المادي ، وذلك عن طريق :

1 – التوعية التي ستقوم بها الجهات الدينية .

2 – والتشريعات التي ستسنها الدولة .

3 – والمطالبة بالحقوق التي ستقوم بها جمعيات النفع العام .

إذن ، نحن أمام عمل شاق يحتاج إلى تكامل واتفاق وإجماع على أن المرأة العاملة المسلمة في بلاد المسلمين تحتاج إلى رعاية خاصة ولا تنطبق عليها تشريعات العمل الغربية بل تحتاج إلى قوانين نابعة من صلب عقيدتها ومجتمعها المسلم .

لعل قائلا يقول إننا نحلم وإلا كيف يكون بالأمكان تغيير كل هذه التشريعات الموجودة منذ زمن بعيد في بلاد الإسلام والمعمول بها في جميع الجهات وكيف نضع تشريعات جديدة تكلف الدولة الكثير من الجهد والمال .

ونحن نقول إن كل فكرة تكون في بدايتها حلما ثم تصبح واقعا ، وما دام الرسول ﷺ قد غير في عقائد الناس وحولهم من الكفر إلى الإيمان واستطاع أن يجعلهم يتركون آلهتهم إلى إله واحد فمهمتنا ستكون إن شاء الله سهلة لأننا نخاطب مسلمين دانوا بالإله الواحد الأحد ولا يحتاجون إلا إلى تبصير وإقناع ، وإن احتاجت الفكرة إلى

صراع لمواجهة بعض الأعداء الذين لا يريدون للإسلام وتشريعاته السيادة وبعض المغرضين الذين يريدون إخراج المرأة من عالمها المستور إلى عالم الفضائح لتحقيق مآرب شخصية في أنفسهم أو لتحقيق مآرب أسيادهم من النصارى واليهود ، فإن ذلك لن يكون شيئا مقابل سيادة الإسلام وحفظ حقوق المرأة المسلمة .

ولا نستطيع أن نطلب من الدولة وحدها القيام بهذا الأمر فالمجتمع بجميع قطاعاته يجب أن يشارك في هذه الدعوة ، والعبء الأكبر منها يقع على الجمعيات النسائية الإسلامية على وجه الخصوص لأن الجمعيات الأخرى ستحارب الفكرة وستقف ضدها ما دامت تمنعها من الخروج سافرة والاختلاط غير المقنن بالرجال .

لعل هناك من يقول إنك تطالبين بوضع تشريعات للمرأة وكأن هذه الدول المسلمة الكثيرة والكبيرة والعريقة خالية من التشريعات الخاصة بالمرأة في العمل . لهم نقول إن المرأة لم تغفل أو إن تشريعات العمل في الدول العربية المسلمة لم تغفل المرأة أبدا وهناك قوانين كثيرة وضعت لخدمة المرأة ولكن القانون الذي ينطبق على الرجل هو نفسه القانون الذي ينطبق على المرأة ، وفي ذلك اجحاف بحقها كبير وخروج عن الطبيعة التي جعلها الله للمرأة ، الطبيعة المختلفة عن الرجل .

لنعد إلى ما كنا نقوله سابقا عن التشريعات التي نريدها للمرأة العاملة المسلمة من يدعو إليها ومن يقوم بها ومن يساندها ، وما هي التشريعات ، وهل نستطيع أن ندمج ما هو جيد وموجود من تشريعات مع التشريعات الإسلامية النابعة من العقيدة وما الذي سنستفيده من ذلك كله ؟ ولنبدأ خطوة خطوة :

أولا : من يدعو إلى الفكرة :

الفكرة الخاصة بعمل تشريعات جديدة نابعة من العقيدة الإسلامية ومناسبة للمرأة المسلمة في المجتمع المسلم كأي فكرة أخرى تحتاج إلى من يدعو إليها ويقف معها ، والدعوة إلى الشيء تحتاج إلى من يفهم هذا الشيء ، والواقع العملي للمرأة

المسلمة يحتاج إلى تغيير كبير ، ومن يقف مع هذه الفكرة وهذا التغيير والدعوة إليها إلا من آمن بالإسلام بشموله وعمقه وجميع جوانبه لا الذي يأخذ ما يوافق هواه ويترك مالا يوافق هواه ؟

فنحن بحاجة بادئ ذي بدء إلى مؤمنين بالفكرة إيمانا راسخا ، وهؤلاء أولهم الدعاة وثانيهم النساء العاملات في الجمعيات النسائية الإسلامية ، وثالثهم الموظفات أنفسهن بجميع مشاربهن واتجاهاتهن .

فلتدرس هذه الجهات واقع المرأة المسلمة في جميع الأعمال في الوزارات والمؤسسات والشركات الخاصة ، ولتبحث عن الأخطاء الشرعية المرتكبة فيها والمعاناة التي تعانيها النساء هناك ، ثم لتبدأ في وضع الأفكار وتدوينها وعمل الاستفتاء بين النساء ، وجمع هذه الآراء كلها وفهمها وعرضها على جموع النساء في الدولة وتبصيرهن بمضار التشريعات الحديثة الوضعية وأهمية وجدوى التشريعات الإسلامية للمرأة المسلمة في مجتمعها المسلم . وبعد الدراسة والتقصي تبدأ الدعوة على نطاق شعبي في المساجد والمنتديات عن طريق المحاضرات والحوارات والندوات ، وأخذ التوقيعات من النساء المتضررات من القوانين الوضعية السائدة ، ثم نشرها بين الناس . ويساعد في ذلك كثيرا وجود برلمانات نيابية منتخبة من الشعب ، فممثلو الشعب الذين شاركت المرأة في انتخابهم يجب أن يقفوا معها ليمرروا هذه القوانين عند مناقشتها في البرلمان الذي بعد ذلك سيعرضها على الحكومة للعمل بها أما في الدول التي لا برلمان فيها فيجب اللجوء إلى المناصرين للفكرة داخل المؤسسات والوزارات الحكومية ومحاولة مناقشة ذوي السلطة في هذا الأمر بالتي هي أحسن وتبصيرهم بالفوائد المستقبلية لعمل المرأة في ظل قوانين نابعة من الشريعة الإسلامية والفوائد الاجتماعية من اهتمام بالأسرة والفوائد الاقتصادية من اهتمام بالعمل وما يعود على البلد من فائدة من جراء ذلك . ولا يجب أن يقف في طريق هذه الدعوة حائل ويجب أن تستمر فلا يدعو لها أحد ثم يتوقف بقوله : اللهم إني قد بلغت فاشهد ، بل يجب أن يستمر ويدعو إلى أن تستجاب مطالبه ، ولا يجب أن تعزل المرأة أو تترك وحدها لتطالب بذلك كما لا يجب أن يقف الرجل وحيدا في الميدان يدعو للمطالبة بحقوق

المرأة المسلمة ، بل يجب أن يقف الجانبان وينسقا جنبا إلى جنب لهذه الدعوة .

ولا يجب أن يعجز المسلمون ويقفوا مكتوفي الأيدي فالدعوة في بدايتها تحتاج إلى من يستوعبها ثم يفكر فيها ثم يفاضل بينها وبين بقية الأفكار المطروحة على الساحة أو في المجتمع ، فلنعط المجتمع النسائي والرجالي فرصة لهضم الفكرة ثم لنبدأ في الخطوة الثانية وهي القيام بالفكرة وتحقيقها . ولنعلم دائما أننا نحتاج إلى وقت كبير لتحقيق هذا الأمر وقد لا يتحقق في بداية دعوتنا أو حتى في حياتنا ، ولكنه إن شاء الله سيتحقق مستقبلا . فلتكن الدعوة مستمرة ومتتابعة وقائمة دائما في أذهان الدعاة وليقتنع بها من يدعون إليها قبل غيرهم ، والله قدير على أن يقلب الموازين ويساعدنا في إخراج قوانين خاصة وتشريعات لعمل المرأة إلى حيز الوجود .

ثانيا : من يقوم بها :

لقد قلنا سابقا إن الدعوة ستقوم على أكتاف الدعاة المسلمين ونساء الجمعيات النسائية المسلمات والموظفات المتضررات والحكومات التي ستقوم بتطبيق القانون .

ولكن من يتصدى لهذه الدعوة لابد له من مواصفات أولها (العلم الشرعي المنبثق من الكتاب والسنة) وثانيها (العلم بالقوانين المعمول بها في الدولة) وثالثها : (العلم باحتياجات المجتمع من الوظائف والأعمال) ورابعها (العلم بواقع المرأة المسلمة في جميع ميادين ومجالات العمل مشاكلها ومعاناتها) وهذا يحتاج إلى دراسة ودراية يستحقها تغيير المجتمع الذي نتطلع إليه .

ولا نقصد بذلك أن الداعية أو المرأة المسلمة أو الموظفة يجب أن تعلم كل هذه العلوم حتى يحق لها المطالبة بتغيير واقعها ، ولكن التكامل في العمل مطلوب فقد يكون رجل دين على علم بالعلم الشرعي ، وقد يكون رجل أو امرأة درسا القانون أو لهما دراية به مفيدين في هذا المجال ، كما أن الموظفة هي أعلم الناس بحالها وبالقوانين الملتصقة بها فتفيد في هذا المجال . ومن مدرسي الجامعات والمعاهد والعاملين في وزارات

التخطيط ومجالس الوزراء ووزارات الدولة من هم على علم كبير بحاجات المجتمع الحالية والمستقبلية ، فإذا اتحدت الجهود واجتمع الجميع في جلسة تنسيق لهذا الأمر خرجنا بما نريد من قوانين وتشريعات تقف مع المرأة وتعود بها إلى روح القوانين الإسلامية . فكما أن الدعوة تحتاج إلى تضافر الجهود للعديد من الناس في المجتمع فكذلك القائمون عليها محتاجون إلى التعاون بينهم كل في مجال تخصصه وعلمه ، وكان الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

ثالثا : من يساندها :

هناك الكثير من النساء والرجال الذين لا ناقة لهم ولا جمل في الموضوع باعتقادهم هم أنفسهم وليس في اعتقادي . من هؤلاء نستطيع أن نجد بعض المساندين والمؤازرين للفكرة لو عرضت عليهم عرضا صحيحا مقنعا ، ولو دخلنا عليهم من مدخل أن كل إجحاف وكل بعد عن روح الإسلام في التشريعات الخاصة بالمرأة في العمل والوظيفة سينعكس سلبا أو إيجابا على حياتهم وعلى بيوتهم . قد تكون المرأة غير عاملة أو لاتحب العمل ولا تريد أن تعمل ، ولكن ليس معنى هذا أنها معزولة عن المجتمع وليس معنى ذلك أن ما يصيب البيوت من تفكك وتشرد لن يمس حياتها فقد يكون أو تكون أحد هؤلاء الذين أتوا من بيوت تهدمت بسبب خروج الأم للعمل زوجة لابنها أو زوجًا لابنتها وقد تكون أختًا لها أو زوجة أخ أو زوج أخت وقد يكون صديقًا لابنها يدعوه إلى الانحراف . من هذا المنطلق ومن هذا الباب نستطيع أن ندخل إلى قلوب النساء والرجال الذين يرون أن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد ، ثم وقبل كل شيء نستطيع أن ندخل عليهم من مدخل ديني إن كان في قلوبهم ولو ذرة صغيرة من إيمان بأهمية إقامة شرع الله للمسلمين في أرض الإسلام ، وسنجد إن شاء الله الكثير ممن يساند الفكرة ويقف معها .

رابعا : ما هي التشريعات :

تكلمنا عن التشريعات الإسلامية الخاصة بالمرأة المسلمة وطالبنا بها ، ولنا أن نسأل الآن ما هي هذه التشريعات ، وكيف تصاغ ومن أين تستقى ، نقول بداية إن التشريعات الخاصة بالمرأة المسلمة كموظفة يجب أن تستقى وتستخلص من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء والتابعين من الصحابة ، وذلك بأن المرأة العاملة لا يجب أن تخرج إلا :

1 – بإذن الولي .

2 – وبمظهر وسمت إسلاميين .

3 – وألا تعمل إلا في الأعمال الموافقة لطبيعتها و النافعة للمجتمع المسلم أو التي يحتاجها المجتمع المسلم .

4 – وألا تختلط بالرجال أو يكون عملها تسلطا عليهم .

5 – وألا يستغرق العمل جهدها ووقتها كله على حساب بيتها .

هذا ما يأمر به الشرع عند خروجها للعمل .

أما التشريعات التي يجب أن تطالب بها النساء فلا أعتقد أنها ضرب من المستحيل بل هي من أبسط المطالب وأسهلها للعمل بها وتحقيقا لها . ومن هذه التشريعات وليس كلها :

1 – أن تبدأ مواعيد عملها في وقت متأخر قليلا ولو بساعة عن مواعيد العمل الرسمية ليتسنى لها تأمين صغارها إن كان عندها صغار أو تحضير وجبتها أو العمل في بيتها قليلا أو حتى النوم للراحة قبل عناء اليوم الشاق الطويل .

2 – أن تعطي ساعات عمل أقل كأن ينتهي يومها العملي قبل الرجل حتى

يتسنى لها الذهاب إلى المنزل قبل الزوج والأولاد لتحضر نفسها ووجبتها وتنتظرهم بنفس راضية مرتاحة .

3 ـ أن تخصص أماكن خاصة منعزلة للنساء أثناء تأدية العمل بعيدا عن الرجال لدرء الاختلاط بينهم ولتأخذ المرأة المسلمة راحتها أثناء العمل ولتتحاشى المزالق الشرعية والنفسية التي من الممكن أن تصاب بها لو كانت تجلس مع الرجال في غرفة واحدة أو تشاركهم المكاتب .

4 ـ ألا تعطي أعمالا تنجز في الليل فإن استغنت الأسرة عن الأم نهارًا فمن المستحيل أن تستغنى عنها ليلا (كخفارات الطبيبات ـ والممرضات ـ والشرطيات ، ما دامت الشرطة النسائية قد بدأت في بعض بلاد المسلمين) ولتحفظ نفسها فقد مر علينا كيف أن بريطانيا قد سَيَّرت حافلات خاصة للنساء العاملات ليلا بعد أن كثرت الاعتداءات الخلقية عليهن .

5 ـ ألا تعطي أعمال الرجال فتزاحمهم وتأخذ مكانهم (إلا إن كانت من الموهوبات اللاتي بلغ ذكاؤهن مبلغا كبيرا والمشتغلات في الوظائف العلمية الراقية) .

6 ـ أن تنشأ لها الحضانات الملحقة بمكان عملها إن أمكن لتطمئن على أطفالها الصغار إن كانت لا تستطيع توفير من يرعاهم ، ووجودهم في الحضانة بقربها خير لهم ألف مرة من وجودهم في البيت بمفردهم مع الخدم .

7 ـ أن تمنح إجازات طويلة بعد الولادة بنصف الأجر أو حتى ربعه لتتفرغ لتربية أطفالها الصغار وهذا يحدث في البلاد الأوروبية المتقدمة فالسويد تمنح الأم الإجازة سنتين براتب كامل .

8 ـ أن تعطي فرصة للرضاعة إن كانت مرضعا فكثير من النساء تركن الرضاعة الطبيعية واتجهن إلى الرضاعة الصناعية بالرغم من معرفتهن بمضارها وذلك لأنهن لا يستطعن ترك العمل أو الاستغناء عنه لإرضاع أطفالهن وكلنا نعلم

أن للرضاعة مواعيد معينة يجب أن تلتزم بها الأم . والدول المتقدمة كلها توفر ذلك للأم الحديثة بعد أن عرفت أهمية الرضاعة الطبيعية في تكوين العلاقة العاطفية بين الأم والابن .

9 ـ ألا تعطى الأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي شديد مما يعرضها للإجهاد والمرض فتكوين جسم المرأة لا يسمح بالجلوس أمام الآلات الضخمة أو تشغيلها .

ونستطيع أن نضع الكثير من القوانين التي تريح المرأة ولكن نكتفي بذلك ولعل ذوي العلم والدراية بقوانين العمل يفيدوننا في هذا الموضوع (نريد أن نذكر أن الأصل في القضية هو بقاء المرأة في المنزل) ولكننا وضعنا ما نراه مساعدا للمرأة على أن تعمل وتنفع وفي نفس الوقت تنتفع وترتاح ولو استغنت عن ذلك كله لكان خيرا لها .

وباستطاعتنا أن ننتقي ما هو جيد ومفيد من القوانين الموجودة في الوقت الحالي والمعمول بها مع ما اقترحناه لنخرج بصيغة جديدة راقية متطورة صالحة للمجتمع المسلم وللمرأة المسلمة ، كل ذلك في ظلال الشريعة والروح الإسلامية .

ما الذي سنستفيده من ذلك كله :

الإسلام كله فائدة للإنسان وما شرع الله سبحانه وتعالى من شيء إلا لراحة الإنسان وفائدته فمصلحة الإنسان في الإسلام هي العليا . ولقد فسر كثير من قوانين الإسلام الخاصة بالمرأة تفسيرا خاطئا من بعض الكتاب ودعاة التحرر ، وسموها رجعية وتخلفا وتمسكا بتقاليد ظالمة مظلمة ، وهم بذلك خاطئون أو لا يعلمون ، والأمر أبعد من ذلك وأسمى ، لأن الهدف من هذه الشروط التي ذكرناها سابقا أن نبني المجتمع المسلم المتكامل ، وأن تتهذب الأمة وتتربى فتعرف المرأة حدودها الشرعية ويعرف الرجل حدوده الشرعية ويقل ما نراه الآن من كثرة النساء المتشبهات

بالرجال والرجال المتشبهين بالنساء ، وما يجرونه على المجتمعات من أمراض خطيرة وهذه القوانين تقي المجتمعات الانحراف والغوائل الاجتماعية .

فالإسلام هدفه إشاعة الإيمان والاطمئنان والسكينة في قلوب الناس وتعميق الإحساس به في كل لحة ولحظة . يريد الإسلام أن يقيم المجتمع المسلم المترابط بنسائه ورجاله حيث يقول في محكم كتابه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [1] يريد أن يقيم مجتمعا عفيفا طاهرا يحقق فيه منهجه المتكامل لا رفعة فيه للرجل على حساب المرأة ولا للمرأة على حساب الرجل ولكن لحساب الاثنين معا ، لحساب الإنسان رجلا كان أو امرأة ليقيما مشاركة المجتمع المسلم القائم على خلق الخير والصلاح والعدل . ويكفينا أن نشهد ما آل إليه حال غيرنا من الأمم رغم تقدمها المادي الذي يبهرنا بريقه .

تقسيم الأعمال :

لو أردنا أن نبحث في الأعمال التي تعمل بها المرأة في الغرب اليوم لوجدنا أنها في وضعها المنحل لم تشارك الرجل في الأعمال الشديدة القاسية فقط بل إنها وباعتبارها أنثى سخرت في أعمال هي غاية في الدناءة والانحطاط مما لا أثر فيه للإنسانية (يكفي أن حرفة البغاء لم تعد عملا شخصيا فرديا بل أصبح تجارة منظمة واسعة بفضل ما تجلبه وكالاتها من أرباح) [2] .

ولقد أجبرت المرأة الحديثة في المجتمعات غير المسلمة بصورة أو بأخرى على

---

(1) سورة التوبة الآية 71 .

(2) عمل المرأة وموقف الإسلام منه ـ عبد الرب نواب الدين ـ صفحة 42 .

أن تطرق كل ميدان للعمل لتقيم أودها مهما كانت ظروف العمل أو نوعيته ، وذلك راجع لأسباب اجتماعية وأخرى اقتصادية . فالمرأة هناك تتعلم كالرجل وتعمل كالرجل ولكنها لا تحصل على نفس أجره وهي مع ذلك مسخرة لخدمته متى أراد ، ثم إنها تتخلى عن اسمها إن تزوجت ، ولا ترث مثلما يرث الرجل ، فإذا عملت كل شيء أو أي شيء فهي مضطرة و لم تجد من يقف إلى جانبها ، لا دين ولا قوانين وضعية ، فالقوانين هناك الخاصة بالمرأة كلها تفرق بينها وبينه (لقد بدأت لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة تشعر بهذا الانحراف الخطير حيث نشرت مشروع قانون جديد على الدول الأعضاء عام 1975 لإزالة التمييز ضد النساء بمناسبة عام المرأة العالمي خلطت فيه الحق بالباطل . ومن الحق الذي جاء فيه والذي يعد انعطافا خطيرا في الفكر العالمي الحديث ، أن أي مشروع لوضع القوانين في بلاد العالم ينظم قضايا المرأة ويحدد علاقتها بالرجل يجب أن يراعي الواجب الأساسي للمرأة في الحياة الاجتماعية وهو الأمومة وتربية الأطفال وتهيئة الجو السعيد لإنشاء البيت السعيد .

جاء ذلك بعد أن دلت الإحصائيات الكثيرة في العالم على خطورة وضع المرأة في ظل تحطيم الأسرة والأمومة والحرية الجنسية الواسعة والانحراف وراء الشهوات التي شجعها وخطط لها الرجال منذ أوائل القرن التاسع عشر [1] .

ولكن العلم والعمل في الإسلام ليسا قاصرين على الرجل . والقوانين الإسلامية المستقاة من القرآن لم تفرق بين المرأة والرجل وهذا ما نفهمه من قوله تعالى **﴿ أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾** [2] .

وحسبنا أن النبي ﷺ شجع اشتغال المرأة بالفقه والعلم فقال (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [3] .

---

(1) قالوا في المرأة و لم أقل . د . أحمد المزيني ـ صفحة 178 .

(2) آل عمران الآية 195 .

(3) مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية ـ سالم البهنساوي صفحة 77 ، 78 .

ما نهى عنه الإسلام هو اتخاذ العمل وسيلة للانحراف وأن يحطم الأسرة والأطفال . والعمل في وقتنا الحاضر وفي مجتمعاتنا المسلمة أصبح امتحانا صعبا في كثير من الأحيان للمرأة في أخلاقها . والذي ينبغي أن تنتبه إليه المرأة المسلمة في العالم الثالث هو أنه لا ينبغي أن تقع في نفس التجارب التي أثبتت فشل المرأة في العالم المتقدم ، وألا تنسى أن لها حضارة تخالف حضارتها وأصالة لابد من المحافظة عليها حتى لا تفقد هويتها في وقت لا يمكن أن تكتسب فيه هوية الآخرين .[1] .

إذن وبعد أن دخلت المرأة سوق العمل وزاحمت الرجل في الفرص المتاحة له ، وأصبح مهددا بالبطالة أكثر كان لا بد من النظر إلى المشكلة نظرة إنسانية نحاول أن نهز فيها المرأة العاملة من أعماقها ونقول لها بكل وضوح وصراحة إنك تخسرين أكثر مما تكسبين من مزاحمة الرجل في أعماله وإنك إن بلغت مبلغا كبيرا أو مكانة كبيرة في الوظيفة فلابد أن يكون ذلك على حساب البيت والأسرة ، حتى زيادة نسبة النساء غير المتزوجات في المجتمعات التي خرجت فيها المرأة للعمل وتعلمت تعليما عاليا فوق الجامعي في الدول العربية مردها إلى خروج المرأة إلى العمل ، فمادام الرجل قد توفرت له رؤية المرأة في العمل وفي السوق وفي جميع الأوقات فما حاجته إلى زوجة تقيده كما قال أحد الانجليز في مقابلة في إحدى الصحف « لماذا أتزوج وكل النساء زوجاتي أو ملك لي » وواقع الحال يشير إلى أن المرأة أصبحت ملكا للرجل ولكن ليس كحليلة وزوجة ، فالرجل الذي أرادت أن تتساوى معه لازال يستعبدها ومازال سيدا عليها وأصبحت هي تبحث عنه بدلا من أن يبحث عنها ، وواقع الحال والمشاكل كلها تشير إلى صدق هذا الكلام .

فلماذا لا نتفق على كلمة سواء بيننا نحن النساء وبين الرجال نوزع فيها الأعمال والأدوار ، أنت لك الأسرة ونوع بسيط ومعين من الأعمال وهو له القوامة على الأسرة وله نوع معين من الأعمال كل حسب طاقاته وقدراته .

---

(1) المرأة والتنمية في الثمانينات (المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية) ـ الآثار السلبية التي قد تنجم عن خروج المرأة للعمل والسبل الكفيلة بمواجهة هذه الآثار د . زهور الأزرق ـ صفحة 772 .

ولابد إذن من تصنيف الأعمال تصنيفا جديدا ، وكل تصنيف بقوانينه التي تحميه وتحفظه ، المرأة لها البيت والتعليم والطب النسائي والتمريض والعمل التطوعي والدعوة إلى الدين والعمل الاجتماعي . والرجل له السياسة والاقتصاد والهندسة وأعمال الطرق والأعمال التي تحتاج إلى مجهود عضلي ، كل له عمل وكل له دور ، فتستقر النفوس وتقل المنافسة وتهدأ النساء والرجال كل يعرف دوره ومكانه وكل يعمل على أن يبرز في هذا الدور المطلوب وهذا المكان فتتحقق الفائدة للجميع لعل وعسى نحظى بمجتمع متكافل متحاب ، نحافظ فيه على الأسرة وكرامتها وعلى الرجل ورجولته .

رعاية الموهوبات من النساء :

في المجتمع المسلم ، وفي كل المجتمعات نجد من النساء كثيرات وهبهن الله سبحانه وتعالى مستوى فكريا رفيعا وذكاء فطريا يفقن فيه كثيرا من النساء في مجتمعهن وكثيرا من الرجال . هؤلاء النسوة سيفدن بذكائهن في كل مجال يطرقنه . فإن كن ملتزمات ومحتسبات فسيبحثن عن العمل الذي يرضي الله ورسوله ويوافق طبيعتهن وينفع مجتمعهن ، وإن كن يتطلعن إلى فوق ذلك فلابد من تهيئة الجو المناسب لهن ليعملن بالأعمال الرفيعة كمجال الاختراع ومجال التخطيط وغيره من المجالات العلمية وقد يكن غير متزوجات ولديهن من الوقت ما يزيد من عطائهن للمجتمع الذي يعشن فيه ، هؤلاء على الدولة أن ترعاهن حق رعايتهن والإشراف عليهن وتهيئة الجو لهن في عملهن على أن يقل اختلاطهن بالرجال أو يكون اختلاطهن حسب ما تقتضيه الشريعة من غير إسراف حتى لا يحرم المجتمع من نشاطهن وعلمهن وحتى لا نعطل طاقة وهبها الله من الذكاء والفطنة والعلم في أن تفيد وتستفيد .

دور المرأة المسلمة في الاستجابة لدعوتنا :

عندما طالبنا بالحد من اشتغال المرأة في أي مكان كنا نصدر في ذلك استجابة لنداء الفطرة المسلمة التي تأبى أن تمتهن كرامتها ، وكنا في ذلك ندعو إلى العودة إلى الأصالة الإسلامية وإلى تعاليم ديننا الحنيف الذي يرى أن الأصل بقاء المرأة في البيت والفرع هو الخروج للعمل عند الحاجة .

ولكن وبما أن المرأة أصبحت في كثير من الأحايين مضطرة إلى العمل لحاجتها لذلك أو إيمانا منها بعدم ترك الميدان خاليا من المرأة المسلمة ليعبث فيه من يعبث من غير الملتزمات كان لزاما علينا أن ننشر دعوتنا السابقة بين أخواتنا المؤمنات الملتزمات بشرع الله عن طريق الفتاوى الدينية التي تبعث روح الإسلام الصافية في نفوسهن وتحثهن على تربية أطفالهن التربية الصحيحة وأن يضحين بالمادة في سبيل الإنسان المسلم. ويصبح لزاما على المرأة المسلمة الإستجابة السريعة والمقتنعة بجدوى ذلك فالله لا يأمر إلا بما فيه خير وصالح المرأة ولقد تحدثنا كثيرا في أماكن متفرقة وأسهبنا عن مضار خروج المرأة للعمل وترك أطفالها لغيرها من النساء الجاهلات لتربيتهم ، فما أحقك أختي المسلمة بتربية أطفالك وتنشئتهم على مبادئ الدين الحنيف وتعاليم الإسلام .

وحتى لو كانت الاستجابة ضعيفة في البداية فإثارة العامل الديني في نفوس المسلمات لابد أن يترك أثرا عند بعضهن وهذا البعض سيجذب الكل إن شاء الله ، وتستجيب المرأة المسلمة لدعوتنا ، ولديها بعد ذلك من الوقت الكثير للعمل والإفادة بعد أن يكبر الأبناء ويصبح لديها وقت فراغ تشغله بالعمل الذي يحتاج إليه المجتمع .

فنحن لا نتوقع من المرأة المتحررة الداعية إلى الانطلاق بغير حدود وقيود أن تتفق معنا في الرأي وأن تستجيب ولكننا نتوقع ذلك من المرأة المسلمة الملتزمة التي هي ضمن فئة (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع

فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ، ونحن لانريد منها أضعف الإيمان ولكن نريد منها الالتزام بما فيه الصالح العام ، والنظر إلى المسألة على أنها عبادة فبناء بيت مسلم برجاله الصالحين ونسائه خير من العمل وربحه المادي الذي أثبتت الإحصائيات المختلفة أن معظمه يذهب لشراء الكماليات التي قد تستغنى عنها المرأة المسلمة .

وفي هذا الوقت الذي أصبحت فيه الصحوة الإسلامية واقعا ملموسا لابد أن نستغله في نشر هذه الدعوة لأننا لانعلم ماذا يخبئه لنا الزمن من مفاجآت قد تنحسر فيها الصحوة لا سمح الله بسبب ترك التربية الإسلامية الصحيحة لغيرنا من المربيات غير المسلمات فتبني المرأة المسلمة في مجال عملها أجيالا وبيتها ينتخر ويتهدم من غير أن تحس وتعلم فتكون بذلك كالتي قال عنها القرآن الكريم تغزل وتنكث غزلها ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا** ﴾ [1] . فتشبه المرأة المسلمة بعملها هذه المرأة الحمقاء التي كانت في مكة تغزل وتنكث غزلها ، وغزل المرأة المسلمة أبناؤها ومسئوليتهم تقع على عاتقها ، فالأساس يبدأ من البيت ، فليكن شعارنا في ذلك : أختي المسلمة عودي إلى أبنائك عوديهم على وجودك احميهم من صحبة الخادمات ابحثي عن الأجر في تربيتهم ، ضعي لبنات المجتمع المسلم بيدك .

لعل الله يستجيب لنا فتستجيب النساء ويكففن عن المطالبة بما هو ليس لهن ويقرن في بيوتهن وكان الله مجيب الدعوات .

البحث الجدي في مشاكل المرأة حتى نحد من مرارتها :

المرأة المسلمة في العصور المتأخرة أعانت الكثير على يد الرجل ، في البداية حرمانها من التعليم وفي النهاية معاناتها من مشاكل الحضارة الحديثه كانحراف الأزواج

---

(1) سورة النحل الآية 92 .

وتركهن لزوجاتهن في المنزل يعانين مرارة الغيرة والفشل والزواج الثاني الذي مهما قلنا عنه إنه أمر شرعي وإلهي إلا إنه يترك أثرا سيئا على نفسية المرأة ، كل تلك الأشياء مجتمعة اثرت تأثيرا سلبيا على شعور المرأة الداخلي وجعلتها تقف مع الدعوات الجديدة التحررية التي تجعلها ندا للرجل ؛ فمادام قد وقع عليها ظلم من الرجل فلا بد من محاربته وسد السبل عليه والوقوف في طريقه ولا مانع من غوايته إن كان كان هذا يشبع غريزة مجروحة أو قلبا داميا من خيانة رجل ما لامرأة ما ، حتى إننا نجد أكثر النساء شراسة في محاربة الرجل هن ممن وقع عليهن نوع ما من الظلم من الرجال سواء أكان أبا متسلطا أو زوجا خائنا أو أخا ، لو بحثنا في الأمر وتقصينا لوجدناهن أشد الناس عداوة للرجل .

نحن لانريد أن نحمل المرأة كل الوزر فكفانا الإعلام الذي يردد دائما أنها هي التي أنزلت آدم من الجنة وكأن ذلك ليس أمرا إلٰهيا مقدرا من الله سبحانه وتعالى ، ويجعلها رمزا للغواية ، فكثير من الأقوال التي تكتب في الصحافة هي في حد ذاتها حَطٌّ من كرامة المرأة ، وإن كانت مغلفة بغلاف جميل يوهمون به المرأة بأنها قوية وبأنها تستخدم أسلحتها لغواية الرجل ، وبأن كيدهن عظيم وبأنهن ينلن ما يردن بكلامهن المعسول ، وكل ذلك ضحك على عقل المرأة وفكرها وذكائها . ومع أنها طالبت بالمساواة وبالتحرر وعملت كالرجل وتعلمت كالرجل إلا أن كلمة معسولة واحدة من رجل تنزلها من عليائها إلى الحضيض ! والرجل بذلك يستخدم الأسلوب الذي كان من المفروض أن تستخدمه المرأة ؛ فبدلا من المواجهة الصريحة بينها وبينه وبدلا من أن يظهر نواياه صريحة واضحة ويخبرها أنه لا يحبها إلا كزوجة جميلة ودودة ولودة عطوفة نظيفة تنتظره في المنزل عندما يعود وتودعه عندما يخرج ، يستخدم سبل الالتواء وينفخ في كبريائها بقوله إنها قوية وإنها تحصل منه على ما تريد . وتسر المرأة بذلك وفي النهاية يحصل الرجل على ما يريد وتبقى المرأة كما هي عاملة في الليل والنهار في عملها خارج المنزل وفي عملها داخله ، مع قلقها النفسي وخوفها على الزوج من أن يتركها لواحدة أخرى مادام يرى المرأة في كل مكان وفيهن من هي أجمل منها ، فجسمها مكدود من العمل وخيالها وفكرها مشغولان وكان الله في عونها .

أرادوا أن يخرجوها ليدمروا المجتمع ويحققوا أغراضهم وكان لهم ما أرادوا فكثرت نسب الطلاق وكثرت نسب الهجر وكثر الزواج الثاني غير مسبب وكثرت الخيانات الزوجية ، والمرأة تزداد مرارة وحزنا وألما وواقعها يزداد تعقيدا ، وبدلا من أن يكون الأبناء زينة الحياة الدنيا لها ولحياتها أصبحوا يمثلون عبئا ثقيلا عليها فغالبا ما يترك الرجل بيته بعد فترة ليبحث عن عش هادئ جميل مع امرأة أخرى والسبب أنه يرى كثيرا من النساء فيقارن بينهن وبين زوجته ولا يعلم أنهن في النهاية سيكن مثلها ما دمن في عمل خارج المنزل ، ومن الممكن أن يطلق الأخرى ويعود إلى زوجته المكلومة المجروحة وذلك لا يؤدي إلا إلى مزيد من التفكك والحسرة والتشرد للجميع . تشير الإحصائيات التي نشرتها إدارة مركزية للإحصاء تابعة لوزارة التخطيط بإحدى البلاد العربية في نشرتها السنوية للإحصائيات الحيوية عن الزواج والطلاق نسبا مخيفة تشير إلى مؤشر خطير غزا المجتمع في هذا البلد وهو سبب رئيس في التفكك الأسري الذي أدى إلى تفكك المجتمع والذي بدوره سينعكس سلبا على الدولة ، فالأمر بازدياد ، ومجتمع الأسرة الواحدة أصبح مجتمع الأسرة المفككة ، ولا نريد أن يقول عنا البعض إننا متشائمون بل يكفي نظرة إلى إحصاء قديم وما فيه من أرقام مذهلة تبين واقع الحال الذي يعيشه هذا المجتمع :

في سنة 1967 تزوج 2006 وتطلق في السنة نفسها 944 .

في سنة 1975 تزوج 5165 وتطلق في السنة نفسها 1417 .

في سنة 1982 تزوج 9338 وتطلق في السنة نفسها 2443 .

في سنة 1988 تقول الإحصائيات أن نسبة الطلاق وصلت إلى 54 ٪ أي نصف المتزوجين ينتهي بهم المطاف إلى الطلاق .

هل نستطيع أن نقول لا تعليق ؟ لابد أن نعلق ونقول إن اعتماد المرأة على نفسها وخروجها للعمل جعلها تعتز بنفسها وينفد صبرها مع الزوج فلا تصبر حتى تستقر ، فمن أول بادرة للخلاف تترك المنزل وتطلب الطلاق لأنها لاترى ما يجبرها على الصبر مع رجل من الممكن ألا تتعدل أخلاقه ، فلتبحث عن رجل آخر مادام هناك

متسع من الوقت قبل أن يصبح لديها أبناء فتفقد فرصتها في الزواج من آخر أو تقل .

وهذا منطق يؤيده كثير من النساء في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة . إذن واجبنا كمسلمين نتطلع إلى المجتمع الأمثل أن نبحث بحثا جديا في مشاكل المرأة المسلمة المعاصرة وأن نبعد عنها المرارة والألم فهي الأم الأساس في البناء الأسري ، فكم من مسلمة غاب زوجها وربت الأبناء أحسن تربية ، ولنا مثل في أمهات الخليج الأوليات عندما كان الرجل يغيب مرتين في السنة للغوص على اللؤلؤ يقضون في المرة الأولى ستة أشهر وفي الثانية أربعة أشهر ويتركون للمرأة الأمية تربية الأولاد والإشراف على البيت والأبوين والإخوان وكانت تقوم بذلك خير قيام وما رجال اليوم إلا من تربية أولئك النساء بمفردهن في مجتمع قاس مرير .

فما بالنا اليوم وقد تعلمت الأم وتضافرت جهودها مع جهود الرجل في التربية ولم تستطع أن تخرج رجالا كرجال الأمس ؟

نحن لا نبخس المرأة الحديثة حقها ولكن ننقل واقعا قد نبالغ فيه قليلا حتى لا يحسبه البعض بسيطا سهلا ولكننا نريد الإصلاح والإصلاح السريع للمجتمع ولذلك نقول للرجل المسلم قبل المرأة : أصلح المجتمع ابحث عن مشاكل المرأة ، أعطها الأمان والاطمئنان افتح لها البيت واجعله مملكتها بتقديرك لها كأم وكزوجة وكربة بيت ، أذهب عنها الملل عندما تعود لها فهي في البيت وحيدة إلى أن تعود ، امتدحها وكافئها ، وعاملها كما أمر الرسول ﷺ « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » فواقع الحال يقول غير ذلك فأنت في خارج المنزل عذب الحديث دائم الابتسام وفي داخله متجهم وأسد هصور حتى لا تدفعها للبحث عن وجه مبتسم وكلام عذب عند غيرك من الرجال .

والمرأة سريعة الإرضاء ولاتريد أن يرضيها المجتمع ولكن تريد للزوج شريك الحياة أن يرضيها ، فارضها يرضك الله استغل عاطفتها الطيبة وألزمها بشيء فتستجيب لك بكل طيب نفس ولايغرنك الأقوال التي تقرؤها عن النساء ، فهن قوارير كما

قال عنهن الرسول ﷺ ، ودعك من المسترجلات اللاتي تراهن في خارج مجتمع بيتك ، فلو وجدت هذه المسترجلة رجلا يقبل بها لتحولت إلى امرأة وديعة وربة بيت مجيدة .

فمشكلتنا نحن النساء تكمن دائما في البحث عن الرجل حتى إنه انتشر مفهوم خاطئ بين الناس : أنه من لا تذهب إلى الجامعة ومن لا تخرج للعمل خارج المنزل وبين الرجال لن يراها الرجال فتقل فرص زواجها وتبقى في بيت أبيها ، فتخرج النساء مذعورات للعمل لعل وعسى أن تجد رجلا من بين الرجال يتزوجها فأصبح العمل خارج المنزل وخصوصا في مجتمعاتنا الخليجية المترفة بحثا عن الزواج وإلا ما سبب خروج امرأة للعمل بثوب يفوق راتبها أضعافا أهي حاجة أم تقضية وقت أم بحث عن النصيب ؟

قد تقولون إن هذا رأي قاصر ، وليس فيه كثير من الصحة ولكني أقول إنه موجود وتعرفه كثير من النساء .

إذن أيها الرجل ، أيها الداعية ، أيها المسلم ، أرح المرأة وابحث في مشاكلها حتى تساعدها على العودة إلى البيت والقيام على شئون أسرتها ، ولم ننظر إلى الأسرة على أنها الزوج والأولاد فقط ، ولم لا ننظر إلى الأب والأم الكبيرين في السن واللذين كانا سببا في قيام الأسرة بأنهما أسرة يحتاجان إلى ابنتهما للبقاء بجانبهما وتكريمهما عند كبر سنهما والقيام على أمرهما ، وإلا فمن لهما ، هل سنصبح كالمجتمعات الغربية التي ترمي بكبار السن في الملاجئ (ملاجئ العجزة وكبار السن) هل نترك من كانوا سببا في وجودنا للوحدة والهرم ؟ حتى غير المتزوجة ستجد لها أسرة ترعاها .

فالعودة والاستقرار في البيت تحتاج إلى من يخلص المرأة من مشاكلها حتى تخف مراراتها فتعود راضية بطيب نفس وخاطر وتبني الأسرة بسعادة غامرة وذلك لا يحتاج إلا إلى تفهم الرجل .

ودعونا ممن يزينون لها الخروج من البيت فما هم إلا غير مسلمين أو متآمرون على إسلامنا وعلى نسائنا .

التربية الإسلامية للمرأة المسلمة :

في اعتقادي أنه لابد من صياغة مناهج تربية إسلامية لنهيىء للمرأة المسلمة جوا إسلاميا تتحرك في إطاره وتنتقل وتنطلق منه إلى عالمية إسلامية كبرى . لقد ظهر الكثير والعديد من النظريات التربوية ، وظهرت مدارس تربوية متعددة منذ عهد الحضارة اليونانية إلى وقتنا الحاضر مرورا بالعصور الإسلامية المختلفة ، وكل منها يرى أنه الأصوب والأحسن في منهج التربية ، ولو نظرنا إلى هذه المدارس لوجدنا أنها كلها بغير استثناء لم تتوصل إلى التربية التي تعالج النفس البشرية بفطرتها وتعني بالجانب النفسي والجانب الروحي والجانب العقيدي كما يراه الإسلام وكما يريده ، ولذلك كان لابد من تربية إسلامية راقية ، تربية علمية ولكنها تكون في خدمة العقيدة التي يؤمن بها المجتمع المسلم كله .

ولابد أن تكون هناك وسيلة منهجية تربوية تكون وسيلة لتخليد العقيدة ونقلها إلى الأجيال القادمة ، لا تربية تفصل الفرد عن دينه .

إذن التربية التي نريدها للمرأة المسلمة أو التي نريد أن تتلقاها المرأة المسلمة هي التربية التي تستقي مناهجها أولا : من الإيمان بالعقيدة ، ولتحقيق ذلك لابد أن تتضافر جميع الهيئات التربوية الإسلامية لبناء منهج للمرأة المسلمة ، ذلك المنهج الذي يجعلها قادرة على أن تعيش في هذه الحياة وتتكيف معها وتقوم فيها برسالتها بنجاح ،ولذلك يجب أن يكون المنهج القائم على العقيدة له موازين محددة ، يزن ويقيس ويمحص ويستنتج قبل أن يخطو .

كذلك يجب على واضع المنهج التربوي الإسلامي أن يؤمن بهدف يضعه نصب عينيه ماذا يريد أن يحقق وكيف يحقق هذه الأهداف ، ويضع لها الوسائل التي تحققها ، وينبغي التدقيق والعناية بها وبسلامتها واختيارها ، وعرضها على ذوي الرأي والمشورة من علماء المسلمين للموافقة عليها .

نحن نريد وسيلة شرعية للتربية وهناك الكثير من الوسائل التي عن طريقها نحقق التربية الإسلامية منها مثلا :

1 _ **القصص ، قد نسأل ماذا نعني بالقصص أو لماذا القصص بالذات ؟**

أولا : القصص تربي الفرد على حب القراءة .

ثانيـــــا : تعطيه نماذج وقدرات خاصة إذا كانت من السيرة النبوية الشريفة التي تغرس المثل في النفس لأن القدوة الأولى هو الرسول ﷺ ، والقصص التي يتمثل فيها روح الجهاد وكيف يكون الإخلاص والتفاني ، وقصص القرآن من قصص الرسل والأنبياء .

2 _ قراءة الكتب الإسلامية التي تشرح الإسلام شرحا وافيا وتبين للفرد أصول هذا الدين الحنيف بطريقة سهلة تربوية ، والكتب التي تتحدث عن سلوك السلف الصالح وعبادتهم وكتبهم .

3 _ العيش الجماعي مع الصالحين للمدارسة والتأثر بهم والأخذ منهم ، وليس معنى هذا أن نقاطع بقية الناس ففي الحديث المرفوع عن ابن عمر (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم) .

4 _ الإكثار من قراءة القرآن وهو جامع للقصص ومذكر للقلب وموجه لطريق الحياة السوية المستقيمة ويليه الاطلاع على السنة النبوية الشريفة .

5 _ الاختلاء بين حين وحين بالله سبحانه وتعالى من وسائل التربية التي تعين الفرد على المضي في طريق التربية الإسلامية التي نتطلع إليها ، فالخلوة بين الفرد وربه صقل للنفس وطهارة لها وتقوية للإيمان وهي أساس تربيتها ومنطلقنا في الحياة كمسلمين (فلقد كانت خلوة الرسول ﷺ في الغار ومكوثه فيه أحيانا إعدادا إيمانيا له وتقوية لنفسه وإعانة له على مجابهة

الباطل في جبروته وطغيانه) ولهذا يجب أن نعدها وسيلة من الوسائل في تربية الجيل المسلم ، فالله سبحانه وتعالى دلنا من خلالها على هذا النوع من التربية ووجهنا إليه .

6 — المجلات والمحاضرات والندوات الإسلامية التي تعالج قضايا المسلمين وتنور فكر المسلم وتوعيه ليصبح مسلما واعيا لما يدور حوله من مختلف الأحداث ويعطي التحليل الصحيح حسب الموازين والمقاييس الإسلامية .

هذه هي الوسائل أو الأهداف المعينة على التربية الإسلامية والمنهج الإسلامي الصحيح الذي نريده للفرد المسلم سواء أكان رجلا أم امرأة .

وهناك من الوسائل التربوية الحديثة التي يجب أن يؤخذ بها بما لا يخالف الشرع وأحكام الإسلام ونعني بها بقية المواد الموجودة في المنهج التربوي في العالم الإسلامي .

قد يقول قائل كيف نترك كل هذه العلوم الحديثة التي تؤدي إلى التطور ونقصر منهجنا التربوي على الوسائل السابقة ؟ وقد يقول قائل إن مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية كلها تدور حول هذه الوسائل ففيها القرآن وفيها القصص وفيها العظة والعبرة من حياة المسلمين الأوائل وفيها كل ذلك نقول نعم فيها وفيها كل ما تقولون ، ولكن ما مدى الاهتمام بها ؟ وهل هي المحور الذي تدور حوله بقية المناهج العلمية منها والأدبية ؟ أم إنها أصبحت تعطى كمواد منفصلة عن واقع طالب العلم حتى أصبحت من المواد التي لا يقبل عليها الطلبة لجمودها وقلة الاهتمام بها ، لقد اهتمت المناهج التربوية الحديثة بالمواد العلمية واهتمت باللغات الأجنبية أكثر من اهتمامها بمواد التربية الدينية ومواد اللغة العربية ، يكفي أن الطالب الذي يتخصص في دراسة الأدب الإنجليزي أو الفرنسي ينظر له نظرة أعلى من النظرة التي ينظر فيها لدارسي اللغة العربية وآدابها ويكفي أن الطالب يشكو من صعوبة اللغة العربية دائما وهو ابنها ويستسهل اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات . لعمري إنها المؤامرة الكبرى على الدين قبل أن تكون على اللغة ، فيحاولون أن يجعلوا من اللغة العربية مادة صعبة

مملة حتى يبتعد عنها الطالب وتزداد الشقة بينه وبين القرآن كتابه التربوي الأول والسنة النبوية الشريفة كتابه التربوي الثاني .

نعم نحن لانريد العودة إلى الوراء وأن تقتصر العلوم التي تدرسها المرأة على العلوم الدينية فقط ولكن نريد أن تكون لها الأولوية فمتى ما تخلق طالب العلم بأخلاق القرآن أقبل على بقية العلوم ونجح وفيها .

(وبينما جميع المناهج في العالم تتفق على أن الهدف من التربية هو خلق المواطن الصالح إلا أن المنهج التربوي الإسلامي يهدف في بنائه الفكري والثقافي إلى إيجاد الإنسان الصالح) [1] الإنسان الذي لا يحصره أرض أو قطر أو جنس أو قومية ، بل مجاله الإنسانية كافة وهذا ما يسمى بالعالمية . والإسلام منذ ظهوره عالمي في دعوته وعالمي في منهجه التربوي الرباني .

والمنهج الإنساني العالمي الإسلامي هدفه :

أولا : أن يربي الروح وهي الصلة بين الإنسان وربه وهذه ما تسمى التربية الإيمانية .

ثانيا : أن يربي العقل وينوره بالعلم النافع المفيد .

ثالثا : أن يربي الجسد ليستطيع تأدية رسالته وتحقيق خلافته في الأرض وعمارتها .

والمحصلة النهائية لهذه التربية أن تتربى المرأة المسلمة تربية إسلامية تجعلها تأنس وتحب كل ما في هذا الكون لأنه من صنع الله وتحس أن كل ذرة في كيانها مرتبطة بالله سبحانه وتعالى ﴿ **كونوا ربانيين** ﴾ [2] لأن الله ولي الذين آمنوا ، ولذلك

---

(1) ممرات الحق (الممر الثالث ب) رائد عبد الهادي صفحة 165 .

(2) آل عمران الآية 79 .

سيكون سلوكها أو أي عمل تقوم به صغيرا كان أو كبيرا يجب أن يكون في ولمرضاة الله تبارك وتعالى .

البناء الفكري والثقافي للمرأة المسلمة :

إذا أردنا التحدث عن البناء الفكري والثقافي لشخصية المرأة لابد أن نبدأ الحديث عن منهج التربية التي تهيئ للمرأة المسلمة جوا إسلاميا تتحرك في إطاره (لكي تؤدي دورها المطلوب منها في الحياة) لابد أن يكون منهج البناء الفكري والثقافي لها واسعا شاملا فهو التوجه لله في كل أمر من الأمور والالتزام بما أنزل الله ، سواء أكان من أمور الآخرة ، وهي الشعائر التعبدية أو من أمور الدنيا وكلاهما شيء واحد في الإسلام ، فالتربية الروحية وحدها لا تكفي لإقامة الحياة الإسلامية (فالمسلمة تحتاج إلى سعة نفسية مضاعفة لتحمل في نفسها طاقة الروحاني المتفرغ للروح ، وطاقة الأرضي المتفرغ للأرض ممتزجتين تحملهما متفاعلتين لا في عزلة هذه عن تلك ، لابد أن يمتزج المنهج الثقافي بالمنهج الروحي ليكتمل للمرأة التكوين السليم والعمل الجاد والحياة الطيبة) [1] ولإعلاء شأن الإسلام الذي آمنت به عقيدة وثقافة وعملا .

ولقد قلنا في الفصل السابق إن النظريات التربوية لم تتوصل إلى التربية التي تعالج النفس البشرية على أساس من الفطرة تكون قائمة على العلاقة والصلة بخالق هذه النفس وعلى ذلك توصلنا إلى أنه لا توجد غير التربية الإسلامية التي تؤدي هذه الوظيفة .

لذلك لابد أن يكون البناء الفكري والثقافي للمرأة المسلمة وسيلة مهذبة وراقية لدعم العقيدة التي يؤمن بها المجتمع المسلم ، ولابد أن تكون وسيلة لتخليد هذه

---

(1) منهج التربية الإسلامية ـ محمد قطب .

العقيدة ونقلها سليمة إلى الأجيال القادمة .

وكذلك كما قلنا في السابق لابد أن تتضافر جميع المؤسسات والوسائل لبناء كيان المرأة المسلمة وجعلها قادرة على العيش في هذه الحياة وتتكيف معها وتنجح في القيام برسالتها .

فمن الوسائل المعاصرة توحيد برامج الدراسة وتوحيد مراحلها وسنواتها للأولاد والبنات فتوحيد برامج الدراسة تحاول به هذه التربية أن تبث الاسترجال في عقل المرأة على خط مضاد لخط أنوثتها التي تميزها ، لأنها برامج رجالية في الأصل قصد بها إعانة الرجل على أداء وظائفه ، وتدفع إليها المرأة دفعا سواء أكانت مناسبة أو غير مناسبة لطبيعتها .

وتوحيد سنوات الدراسة ومراحلها الهدف منه تأخير سن التخرج بالنسبة للفتاة وبالتالي تأخر سن الزواج عن اللحظة التي يكتمل فيها نموها الجسدي والنفسي حيث تكون كاملة الخصوبة وكاملة الاستعداد .

وقد نحتاج إلى أن نتعلم من الأساليب الغربية في التربية ووسائلها البارعة في تنمية الاستعدادات والمواهب ، وهي وسائل نعترف أنها بارعة حقا ونحن نستخدمها مادام الخط قد انقطع بيننا وبين واقعنا التاريخي الذي كانت فيه الأمة الإسلامية أبرع أمة في الأرض وأحسنها استخداما لمواهب أبنائها واستعداداتهم الفطرية .

نؤكد مرة أخرى على ما قلناه سابقا عن التفريق في بناء المنهج بين البنين والبنات فعلى الرغم من وجود تشابه عام في خط نموهم الجسدي والنفسي والعاطفي والعقلي والروحي إلا أنه يأخذ عند الفتاة صورة أخرى (نقصد النمو) لا يصلح معها أن نربيها على طريقة الفتى وإن اتحدت الأهداف في المحصلة النهائية وهي التربية للفرد تربية إسلامية [1] .

---

(1) الإنسان ذلك المجهول : الكسيس كاريل ـ تعريب : شفيق أسعد فريد صفحة 109 .

فقوامة الرجل التي تثير جدلا بين النساء والرجال والتي جعلت المرأة والرجل في مجالات التربية والتعليم يتنافسان في قضية المساواة ليست هدفها تحقير المرأة وإهانتها وإنما هي قوامة لتنظيم التبعات وتوزيع التكاليف بحسب الاستعدادات بين الرجل والمرأة وخالق الفطرة هو أعلم بها وبما تحتاج وأعلم بما يصلحها ويصلح لها .

ومن هنا إذا ربيت المرأة المسلمة تربية إسلامية صحيحة وإذا وضعت لها المناهج الإسلامية الصحيحة لن تشعر المرأة المسلمة في المجتمع المسلم الحق بتلك القضية بل ستشعر وستعلم أنها مسألة تكامل أو قضية تكامل بين شقي النفس الإنسانية ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ [1] ، ثم أن لقاءها مع الرجل سيكون لقاء للتعاون لا للخصام والتنافس .

والمفروض في المنهج التربوي الإسلامي في المجتمع المسلم أن يعد الفتاة في مرحلة الشباب المبكر لمهمتها العظيمة المرتقبة حتى تكون مهيئة لدورها كأم التهيئة الملائمة ، وهذه التهيئة تبدأ من فترة المراهقة إن لم تبدأ من قبل قليلا بطرق مخففة ومختلفة وذلك بتكليف البنت ببعض أمور البيت الخفيفة التي تكسبها التعود على رعاية هذا البيت في المستقبل .

وإدارة البيت ورعاية من فيه فن يحتاج إلى تدريب فهي ليست مجرد طبخات تتعلمها الفتاة ولا تنظيف منزل وترتيبه إنما هو مسئولية كلفها الله بها سبحانه وتعالى وترجمها الرسول ﷺ في حديثه الشريف « والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها » . فمناهجنا الحديثة المكثفة لا تترك للبنت فرصة للعمل في البيت فهي فيه مشغولة باستذكار الدروس للمدرسة التي تأخذ بها مناهج البنين التي لا تدرب على شئون البيت .

ولكن لا نعني بهذا القول أننا لا نريد للفتاة أن تتعلم ، فتعلمها أمر تستقيم

---

(1) سورة الزمر الآية 6 .

به الأمور في المجتمع المسلم ، فالإسلام لم يأمر بتجهيلها ولا بتركها جاهلة .

ولكن أي علم نريد ؟

في المجتمع المسلم الذي نتطلع إليه والذي كان موجودا في زمن يراه البعض ولى واندثر (ونتمنى على الله أن يعيده علينا) يجب أن يكون هناك علم مشترك بين الشاب والفتاة والمسلمين جميعا صغيرهم وكبيرهم كل بحسب سنه وما يناسبه هو .

1 – العلم بالدين ونعني به العلم الذي يعرف الفرد المسلم بالحقائق الإسلامية كلها وليس المقصود به فقط بعض مسائل الفقه فعقيدة الإسلام وتبعة شهادة أن لا إله إلا الله شيء ضخم جدا وعظيم وشامل يتبعها كل أركان الإسلام والعلم بالدين المطلوب هنا هو العلم الذي ينشئ هذه المعاني في النفوس ويجعل الحياة تقوم عليها .

2 – ثم يجب أن يكون هناك في المنهج التربوي للمرأة المسلمة إلى جانب ذلك (تربية نسوية) تعد الفتاة لوظيفتها المستقبلية وتعلمها ما تحتاج إلى تعلمه من شئون هذه الوظيفة من إدارة لشئون المنزل ورعاية لشئون الأطفال والطرق المثلى لتربيتهم ، وتحول المشاعر الفطرية للفتاة نحو الأمومة إلى تهيؤ عملي لاستقبال حياة الزوجية المرتقبة بدلا من أن تحولها إلى تبذل وسعي وراء الإثارة والفتنة في محيط الاختلاط بالشباب مع الانصراف عن وظيفة الأمومة في نفس الوقت .

3 – ثم تتعلم بعد ذلك ما تجد في نفسها قابلية له وقدرة عليه بغير قيود إلا قيدا واحدا هو ألا تصرفها هذه الدراسة نفسيا وعقليا عن وظيفتها الرئيسية التي ينبغي أن تعد من أجلها ومادام كلامنا السابق في إطار الكلام النظري لأننا في مجتمعنا المعاصر لا نملك البرامج ولا مراحل الدراسة ولا طريقة التدريس ولا نجد المدرسة المسلمة التي تعطي القدوة بمظهرها وأخلاقها وفكرها وسمتها

الإسلامي وروحها الإسلامية .

إذن لابد أن نستعيض عن هذه التربية في المدارس (نحن سندعو لها أن تكون في المدارس ولكن إن لم يكن في استطاعتنا ذلك فمهمتنا إذن لإنشاء هذا النوع من التربية مقصورة على البيت المسلم وعلى التجمعات النسائية التي تنشئها الجماعة الداعية إلى الله ، وهنا تكون المسئولية كبيرة ومضاعفة وضخمة على الأسرة والبيت في إنشاء هذا النوع من التربية الذي نتطلع ونصبو إليه) .

ويجب أن نعلم أن تربية فتاة مسلمة ملتزمة في هذا الواقع المتناقض لن تكون مسألة هينة فضلا عن تربية فتاة يصل الالتزام بها أن تكون داعية في المستقبل للفكر الإسلامي ولكن لكل امرئ ما سعى فنحن مطالبون بالمحاولة وبذل الجهد ، لأننا بغير المحاولة لن نحقق شيئا ولأننا بالمحاولة نحدث على أقل تقديرا قدرا من التغيير الذي سيكون اللبنة الأولى المرجوة للتغيير في المستقبل ولأن الله سوف يأجرنا على كل جهد نبذله ولأن كان جهدنا مع الفتاة أكبر من جهدنا مع الفتى بسبب شدة وثقل العراقيل الموضوعة أمام الفتاة أكثر من الفتى فإن ثمرة الجهد كذلك أخطر ، فإنشاء أم مسلمة واعية فاهمة لدورها في الحياة هو شيء ضخم في حد ذاته سواء في محيط مجتمعنا أو على المستوى البشري كله .

إصلاح المرأة من إصلاح المجتمع :

رجونا في كل ما قلناه سابقا أن يعود المجتمع مسلما ، لن نقول كما كان سابقا في عصر الرسول ﷺ فنحن في زمان غير زمانهم وفي عصر غير عصرهم والتحديات في عصرنا تفوق تحديات عصر المسلمين الأول بكثير ، كان المسلمون في العصر الأول يرسون دعائم الدين وينشرونه بين ناس لا دين لهم ، ونحن في عصرنا الحاضر نخاطب أناسًا يدينون بديننا ويقولون بأنهم مسلمون وواقع حالهم يقول غير ذلك فإذا حاججناهم بالقول إن الإسلام لا يتجزئ ولايؤخذ بعضه ويترك بعض قالوا ومن نحن ؟ ألسنا بمسلمين ؟ وبذلك يسدون علينا وعلى أنفسهم فرصة المحاورة

والإقناع والاقتناع بواقع الحال ، نرد عليهم بالقول نعم أنتم مسلمون ولكن هل تعيشون حياة المسلمين هل تحقق الإسلام فيكم ؟ يقولون نحن نصلي ونصوم ونزكي والله غفور رحيم .

إذن نحن إما أناس يلوون الحقائق ويطوعونها حسب رغباتهم باسم الإسلام والدين ويأتون بأمثلة من القرآن والسنة لن نقول إننا لا نستطيع الرد عليهم ولكن موقفهم هذا سيصعب علينا العمل ، فهم على حد زعمهم يرون أن المرأة خرجت إلى مجالات الحياة الواسعة وأصبحت تعمل وتتعلم ولا مجال للعودة إلى الوراء فكأن العودة إلى الدين والالتزام بأوامره ونواهيه أصبح عودة إلى الوراء ، لن نكرر القول أنها أحاديث أعداء الإسلام ينقلها عنهم المسلمون ولكن سنقول للدعاة ولمن وضع على عاتقه مهمة البحث في قضايا المرأة أن يضع هذه الأمور أمام عينيه وفي اعتباره ويعرف أن الطريق شاق وصعب والمهم ألاَّ يُوجه الخطاب للمرأة فقط عند الحديث عن هذه القضية بل يجب أن يكون موجها للمجتمع كله ، ويجب الإصلاح الشامل للمجتمع كله حتى نصلح هذا الجزء الحساس منه .

صحيح كما قلنا سابقا إن المرأة أساس المجتمع ولكن هل نستطيع أن نفصل قضيتها عن قضايا الرجل المسلم الذي يتعرض للمؤامرات كما تتعرض هي لها والذي أصبح لا حول له ولا قوة بسبب فساد الأنظمة وفساد الأخلاق وفساد السياسة وفساد المجتمعات ، فأعداء الإسلام متحدون في محاربة الجنسين من المسلمين رجالهم ونسائهم ، فإذا أردنا إصلاح الحال بالنسبة للمرأة فواجبنا إصلاح الرجل أولا ثم المجتمع كله أو العمل أو البدء بالمجتمع والانتهاء بالناس فيه رجالا ونساء ، فإذا ما صلح المجتمع صلح أفراده فكثير من البسطاء حتى وإن بلغوا مبالغ عالية من العلم يقبلون من الآراء ما يوافق هواهم عن جهل بالدين فإذا ما وضحت لهم الطريق استمعوا لك واستكانوا وتابوا وأنابوا إلى الله ، فلنترك من هم أشد عتيا على الإسلام من المسلمين ولنخترق صفوف الناس ذوي الفطرة السليمة ، نوجههم وننصحهم ونعمل على إصلاحهم يقول ابن خلدون في مقدمته عن أسباب التشيع لرأي دون الآخر (فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول

الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله) [1] .

قسم ابن خلدون الناس إلى متشيع لرأي لن يحيد عنه وإلى معتدل يمحص ويتبين الصدق من الكذب وإلى هؤلاء النوع الثاني وهم الكثرة في المجتمع يجب أن نتجه وأن نحاول نشر الدعوة (لا أعني بنشر الدعوة ، الدعوة إلى الإسلام فالإسلام منتشر ولكن أعني نشر قضية المرأة كما نؤمن بها وكما نراها) ونحدد من خلال المؤلفات والمحاضرات والندوات أبعاد القضية ووظيفة المرأة الأساسية والوظائف المساعدة التي من الممكن أن تعمل بها المرأة وكما شرحناها في فصول سابقة ، فكثير من النساء في مجتمعاتنا المعاصرة لديهن الاستعداد للانصياع لأوامر الدين ولا يحتجن إلا إلى توعية ونصح وإرشاد .

إذا أردنا أن نحدد وظيفة المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر أو أن نحقق ما تكلمنا عنه وفيه في فصول سابقة من تقنين وتحديد للوظائف التي يجب أن تدخلها المرأة في المجتمع المعاصر يجب أولا أن يقتنع المجتمع كله أو جله بما نقول حتى ننجح في دعوتنا ، فنحن نحتاج إلى تغيير في القوانين الموجودة حاليا والتي تحدد وظائف المرأة في المجتمع وحقوقها وواجباتها ، ونحتاج إلى توعية شاملة محددة لأهداف متكاملة تشرح للمرأة والرجل دوريهما في الحياة وتكاملهما فيها وما يجب أن تكون عليه العلاقة بينهما ، علاقة حب ومودة كما أرادها الله سبحانه وتعالى ﴿ **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**) [1] لا علاقة منافسة ومضادة كما أرادها الناس في المجتمعات المسلمة المعاصرة .

قد تبدو المهمة شاقة ولكنها ليست بالمستحيلة ، فالفكرة إذا ما انتشرت بين

---

(1) مقدمة ابن خلدون ـ الجزء الأول (الكتاب الأول) ص 35 في طبيعة العمران في الخليقة .

(2) سورة الزمر الآية 6 .

نفر من الناس واعتنقوها وجعلوها هاجسهم لابد لها أن تنتشر وتكبر وبذلك نحقق ما نريد .

إذن الإصلاح أولا ؛ إصلاح المجتمعات وإصلاح النفوس والأفراد وإصلاح القوانين والعودة إلى الدين ، لا نفصل بينه وبين سياستنا الإصلاحية أبدا ، فمتى ما تم لنا ذلك فسنرى النساء منقادات إلى شرع الله وأمره من غير جدال ولا حرب .

حقوق وواجبات المرأة المسلمة تحدد وظيفتها :

المرأة التي ارتضت الإسلام دينا ليس لها أن تحدد وظائفها في المجتمع المسلم فالمجتمع وحاجاته هو الذي يحدد وظائفها ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مُبينًا** ﴾ [1] فكل منهج في الحياة يتبعه الإنسان لابد أن يكيف نفسه وحياته حسب هذا المنهج الذي ارتضاه ، فما بالنا بالمنهج الرباني الذي رضيناه واتبعناه .

نعود للقول إن المجتمع المسلم هو المسئول عن تحديد وظيفة المرأة المسلمة فيه فهي منفذة لما جاء في هذا المنهج وبما أن الإسلام أعطى للمرأة حقوقا وواجبات فوظائفها في هذا المجتمع يجب أن تكون نابعة وتابعة لهذه الحقوق والواجبات .

أعطاها الإسلام حق العيش في كنف الأب أو الأخ أو الزوج وأجبرهم أن ينفقوا عليها كل من سعته فوظيفتها هاهنا مقتصرة على التلقي منهم وفي الوقت نفسه القيام على أمور حياتهم فهي موظفة عندهم مادامت تتلقى منهم .

إذا لم ترد ذلك فقد أعطاها الإسلام حق العمل بالشروط التي وضعها فهي تعيل نفسها وتخضع في ذلك لصاحب العمل (لا يعني ذلك خروجها عن سلطة

---

(1) سورة الأحزاب الآية 36 .

الأب أو الأخ أو الزوج وإلا لكان في ذلك خراب المجتمع) .

ومن واجباتها خدمة الزوج وتربية الأبناء فهي مسئولة عنهم وستكون وظيفتها في هذه الحالة الإشراف التام والكامل عليهم ولا تستطيع أن تتخلى عن هذا الواجب وإلا اختل نظام الميزان الاجتماعي إذا تخلت كل زوجة عن واجب الزوجية والأمومة .

من واجباتها كمسلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات فهي لذلك أو تبعا لهذا الواجب يجب عليها إن كانت تملك القدرة على الدعوة أن تتخلى عن كل ما عدا هذا الواجب وتتجه بكل كيانها لهذا الأمر وتكون وظيفتها الأساسية تبعا لهذا الواجب .

من حقوقها أن يكون لها بيت وزوج وأبناء وحياة خاصة بعيدة عن البيت الذي نشأت فيه والأهل الذين عاشت معهم ووظيفتها تبعا لهذا الحق أن تختار أو تطلب المساعدة في اختيار الزوج الذي يوفر لها البيت ويمنحها الأبناء والاستقرار والحياة الطبيعية .

من حقها إن كان لها مال أن تنمي مالها ووظيفتها تبعا لهذا الحق أن تتاجر بمالها وتتصرف فيه حسب تقديرها لما هو في صالحها ولا يمنعها ذلك من المشورة وأخذ الرأي الصائب في هذا الأمر من أب أو أخ أو زوج .

من حقها أن تتعلم ووظيفتها هنا أن تبحث عن العلم من مصادره وتسعى إليه وتعمل على الانتفاع بما هو موجود في المجتمع من مصادر العلم والمعرفة وتعلّم ما تعلمت فتنتفع وتنفع ، من كل ذلك نخلص إلى أن الحياة في المجتمع المسلم هي التي تحدد الوظائف للنساء المسلمات وفي هذه الحالة من واجب المجتمع المسلم أن ينظم حياته تبعا لذلك ويضع الأولويات ، فيشغل الرجال أولا لأنهم في عرفنا الإسلامي القوامون على النساء ثم يعمل على تشغيل النساء في الوظائف التي تتناسب وقدراتهن وحسب الشواغر الموجودة في المجتمع وحسب حاجة المجتمع لذلك من غير إفراط ولا تفريط ، ثم يفسح المجال للموهوبات منهن لأخذ مكانهن في بعض الوظائف القيادية كالجامعات وكلياتها النسائية والبنوك غير الربوية وفروعها النسائية ومؤسسات

التعليم الأخرى وفي بعض الوظائف الاستشارية خصوصا في الأمور التي تخص المرأة وتتعلق بحياتها وقوانين عملها .

فهي كالرجل مستخلفة في الأرض ومسئولة عن العمران في المجتمع عليها ما على الرجل من واجبات ولها ماله من حقوق في ظل شريعة تحدد لها ذلك ، فمساهمتها في بناء المجتمع المسلم يجب أن تكون مساهمة فعالة ، مساهمة من يهمه أمر المجتمع وأمر المسلمين فلا تقعد عن العمل ولكنها لا تخرج له من غير حاجة أو عندما تكون حاجة البيت والزوج والأولاد هي الأولى في سلم اهتماماتها .

إذن الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم كما قلنا في البداية هي التي تفرض على المرأة المسلمة دورها المطلوب منها في الحياة ودورها المحدد في مجتمعنا المسلم ، إذا ما عاشت في مجتمع مسلم وهو ما يجب أن تسعى وتعمل جاهدة للوصول إليه وتحقيقه ، ولا يعني ذلك أنه لن تكون هناك مستجدات أو حاجة ماسة للدخول في أعمال معينة أو وظائف محددة تفرضها الظروف وتظهر في المجتمع كمستجدات من مثل الدخول في وظائف علمية محددة ومعينة تبرز فيها المرأة وتتفوق كعلوم الفضاء الحديثة ، ومجالات العلم والاختراع ، فإن وجدت المرأة الموهوبة القادرة على ذلك فلابد للمجتمع من أن يوفر لها الجو المناسب للعمل في جو لا يتعارض مع حياتها الأسرية وإسلامها الصحيح .

قد يقول قائل إن كل ما قلناه مجرد كلام نظري يصعب تطبيقه في حياتنا الحالية ، ونعود للقول بأنه لو توفر إخلاص النية والمجتمع المسلم لأصبح ذلك يسيرا هينا فالعبرة بالإراده وبالتخطيط السليم وبتكاتف جهود المسلمين لتغيير المجتمع لصالح الرجل والمرأة وكل حلم يصبح حقيقة إذا ما خطط له ولقد كررنا هذا القول في مكان سابق .

خاتمة المطاف

المرأة المسلمة مستهدفة والعبء الذي يقع على عاتقها كبير وضخم فتغيير المجتمع ليس بالأمر الهين السهل والتحدي كبير والعمل يجب أن يشترك فيه الرجل والمرأة على حد سواء والعودة الى شرع الله تحتاج الى جهاد بالمال والنفس وبالراحة وبالوقت وبكل ما يملكه المرء المسلم من طاقة وحيوية قد تكون أحيانا على حساب أشياء كثيرة في حياة الإنسان وأناس كثيرين ، ولكن لابد من البداية ولابد من الخطوة الأولى وقد لانجد الثمرة في حياتنا أو حاضرنا وقد تزهر الأفكار وتثمر في جيل بعدنا ولكن يكفينا شرفا كمسلمين أن نكون درجة في سلم الصعود أو جزءا من منظومة الحياة الإسلامية .

الكل يرى أن لا عودة إلى حياة الإسلام الأولى ونحن نقول معهم إن ذلك مستحيل فعصرهم غير عصرنا وحياتهم غير حياتنا ومسئولياتهم غير مسئولياتنا وجاهلياتهم غير جاهليتنا ولكن الناس هم الناس والفطرة الإنسانية الجديدة الحاضرة هي الفطرة الإنسانية القديمة السابقة التي تبحث عن الحق وترضى بشرع الله ، الفطرة المسلمة التي عاشت للإسلام وعاشت ما سواه وعرفت الفاصل بين الحق والباطل ، فكما ترك الأقدمون ما يعبد آباؤهم فكلنا أمل بأن يترك اللاحقون ما يعبدون وما عبد آباؤهم من أفكار دخيلة وقيم ومثل منحرفة ويتجهون إلى شرع الله . وتعرف المرأة مكانها في المجتمع ودورها فيه فتطالب بحقوقها على هذا الأساس وليس على أساس التقليد لما جاء من الغرب فالمساواة موجودة في الإسلام ولا نريد لها إلا أن تنظم حياتنا في المجتمع .

يقولون إن المرأة مظلومة في مجتمعاتنا المسلمة نقول نعم لقد ظلمت عندما تخلى المجتمع عن الدين وبدلا من أن يرعاها كامرأة أخرجها ليستعرضها كأنثى مثيرة ،

وبدلا من أن يتخذها زوجة شريفة اتخذها خليلة وغانية ، وبدلا من أن تعمل في الأعمال التي تناسبها زج بها في ميادين ما أنزل الله بها من سلطان وصار يفخر بأنها تقود الشاحنة وتقود القاطرة وكأنما الدنيا خلت من الرجال القادرين على ذلك .

قد يتهمنا البعض بالرجعية ونقول ما أحب رجعية الإسلام إلى قلوبنا ففيها شفاء مجتمعاتنا ، المرأة يجب أن تعرف ما لها وما عليها من حقوق وواجبات ، ويجب أن ترفض ما لا يناسبها من أعمال وأن تعمل في الوظائف التي يحتاجها المجتمع المسلم والتي لا تتعارض مع طبيعتها النفسية والتكوينية ، ويجب أن تقف موقفا حاسما من مشاكلها يساندها المجتمع المسلم في ذلك ويشد من أزرها .

المجتمع المسلم لا يستغنى عن جهود النساء ولا يرفض عملهن ضمن مؤسساته ولكن بما يحفظ كيانهن ، وبما يبعدهن عن مواطن الفتن والشبهات .

والواجب يدعو المرأة المسلمة أن تقف موقفاً صلباً ثابتاً حيال من يسرق منها هذا الحق ولا يتم ذلك إلا عن طريق التنظيمات النسائية الإسلامية القومية الفاعلة المتغلغلة في المجتمع الباحثة في مشاكله العاملة على حلها .

لقد سئمت النساء الحديث في مشاكلهن من قبل الجمعيات والتنظيمات النسائية المنتشرة في طول البلاد وعرضها المطالبة بحقوق المرأة سئمن المتاجرة بحقوقهن ومشاكلهن ، سئمن من يتحدثن باسمهن فقط على صفحات الصحف والمجلات .

المرأة تحتاج إلى نشاطات مخلصة لا يهمها الظهور إعلاميا والشهرة عالميا ولكن تحتاج إلى نشاطات تتغلغل في البيئات المتخلفة الفقيرة المحتاجة المنكسرة أولاً ثم المجتمعات المرفهة التي تعج حياتها بالمشاكل ولا تستطيع البوح بها ، المطلوب طرق جميع الأبواب لتنظيم حياة المرأة وحمايتها من أصحاب العمل وسن القوانين والتشريعات المناسبة لها ولحياتها ولأسرتها .

هذه النشاطات التي نحتاجها يجب أن تكون نشاطات شعبية تحس بمشاكل جميع الفئات وليست كما هو حاصل في وقتنا الحاضر تنظيمات للطبقات المثقفة التي تتاجر

في قضايا المرأة . المطلوب في البداية التوعية ــ توعية المرأة بمشاكلها أولاً ثم محاولة حلها ، ولكن ما يحصل الآن في المجتمعات المسلمة أن المرأة في سباقها مع الزمن وفي دوامة مشاكلها العملية والأسرية لا تحس بما تحتاج وما لا تحتاج ولا تحس أن هناك مشاكل تعترضها فقد أصبحت كالآلة تدور وتدور إلى أن تبلى وتتوقف وقد أضناها الجهد والتعب وأقعدها الجهد حتى عن الكلام .

ولكن إذا تهيأ للمرأة من يبصرها ويتحدث إليها في المشاكل التي تعترضها في وظيفتها لعل جرسا يدق في سحيق ذهنها يوقظها من غفوتها ويحسسها أن هناك من يحس بمشاكلها وبما تعانيه ، وأن هناك من يحب لها الخير ويدعوها إليه وأن العمل عبادة فيجب أن تختار منه ما هو أحسن ليقربها إلى الله سبحانه وتعالى لعلها تصحو من غفلتها ولعلها تعود للثقة مرة أخرى بالتنظيمات النسائية القائمة على أسس سليمة .

المرأة في المجتمع المسلم فقدت الثقة في بعض المؤسسات النسائية لأنها لا تدري مدى مصداقيتها أو لأنها فقدت مصداقيتها بالنسبة للمرأة ، وفقدت الثقة في الرجل في بعض المجتمعات الحديثة لأنها لم تر منه إلا ما يثير الريبة فهو إما طامع في دخلها المتواضع أو تارك لها تعمل لتعيل نفسها وتكفيه مؤونة الإنفاق عليها ، ولا تدري أنها الملومة في ذلك .

ولذلك نقول إننا نحتاج للرجل المسلم في حل هذه المشكلة قبل المرأة المسلمة لأن بيده هو فقط أن يعيد الثقة للمرأة بقدراتها ، ويستطيع أن يكفيها مؤونة الخروج إلى العمل إن كان مستطيعا ويتعاون معها على أعباء الحياة إن كان محتاجاً في جو إسلامي نظيف تسوده الألفة والمحبة والقدوة بما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام .

خلاصة القول والكلام أنه بما أننا لانستطيع أن نعود بعجلة الزمان إلى الوراء وبما أننا محتاجون لجهود المرأة المسلمة لتساعد في بناء المجتمع المسلم فلا أقل من أن نوفر لها الجو المناسب الذي تعمل فيه .

والله ولي الذين آمنوا والكافرون لامولى لهم .

قائمة المراجع

1 – المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر — د . عبد الله شحاته

2 – المرأة بين الفقه والقانون — د . مصطفى السباعي .

3 – المرأة في التصور الإسلامي — عبد المتعال محمد الجبري

4 – حقوق المرأة في المجتمع الإسلامي — د . جمال الدين محمد محمود

5 – المرأة العربية المعاصرة إلى أين ؟ — د . صلاح الدين جوهر

6 – عمل المرأة وموقف الإسلام منه — عبد الرب نواب الدين

7 – مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية — سالم البهنساوي

8 – المرأة المسلمة الداعية أحاديث ونماذج — محمد حسن بريغش .

9 – عمل المرأة في الميزان — د . محمد علي البار .

10 – العمل النسائي في الخليج ، الواقع والمرتجى . — د . عبد الله النفيسي .

11 – قالوا في المرأة ولم أقل (المرأة الكويتية إلى أين) — د . أحمد المزيني .

12 – المرأة والإســلام — أحمد زكي تفاحه .

13 – المؤامرة على المرأة المسلمة (تاريخ ووثائق) — د . السيد أحمد فرج

14 – المرأة وحقوقها في الإسلام — أبو النصر مبشر الطرزي .

15 – المرأة ومكانتها في الإسلام ، أحمد عبد العزيز الحصين .

16 – المرأة في مختلف العصور ، أحمد خاكي

17 – أدب المرأة المسلمة ، عبده غالب أحمد عيسى .

18 – المرأة في الإسلام ، عبد الحميد إبراهيم محمد .

19 – المصفى من صفات الدعاة ، عبد الحميد البلالي .

20 – نحو بعث جديد ، زينب الغزالي الجبيلي .

21 – المرأة الكويتية بالأرقام ، وزارة التخطيط – الإدارة المركزية للإحصاء .

22 – الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية محمود محمد الجمهري ، محمد عبد الحكيم خيال .

23 – النشرة السنوية للإحصاءات الحيوية (الزواج والطلاق) ، وزارة التخطيط .

24 – المرأة ماذا بعد السقوط . بدرية العزاز .

25 – أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان .

26 – طريق الدعوة في ظلال القرآن ، أحمد فايز .

27 – في ظلال القرآن ، الشهيد سيد قطب .

28 – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، وضع محمد منير الدمشقي .

29 – منهاج الصالحين ، عز الدين بليق .

30 ـ المرأة والتنمية في الثمانينات . (بحوث ودراسات) المجلد الثاني المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية — اشرف على إعدادها ، د . يحيى فايز الحداد

31 ـ تطور حقوق المرأة عبر التاريخ ، — إعداد معرض الكتاب الإسلامي السادس .

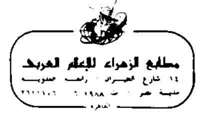
32 ـ منهج التربية الإسلامية ، — محمد قطب .

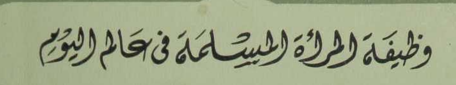
33 ـ الإنسان ذلك المجهول — إلكسيس كاريل ، تعريب : شفيق أسعد فريد .

34 ـ ممرات الحق الممر الثالث ، — ب . راشد عبد الهادي .

الفهرس

رقم الإيداع : ٥٤١٣ / ١٩٩١





منشورات
المنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة
١٤١١هـ
١٩٩١م